صناعة القرار السياسي والعسكري في تاريخ المغرب الاسلامي ٢٢-٩٢هـ/ دراسة تاريخية

الباحثة : هاجر بهزاد حسين
أ.د. غفران محمد عزيز
كلية التربية / جامعة ميسان

الملخص :

إنّ دراسة صناعة القرار المتعلِّق بفتح بلاد المغرب تقتضي التوقّف عند جملة مِن العوامل التي شكّلت الأساس الموضوعي والمنطقي لاتخاذ هذا القرار الإستراتيجي في التاريخ الإسلامي، فقرار الفتح لم يكن خطوة عشوائية أم وليدة نزعة توسّعية مجردة، بل جاء نتيجة تفاعل مجموعة مِن المعطيات التي أسهمت في تشكيل رؤية واضحة لدى صانعي القرار في الدولة الإسلامية، ممثلة في القيادة السياسية والعسكرية آنذاك.

abstract

Studying the decision-making process related to the conquest of the Maghreb requires examining a number of factors that formed the objective and logical basis for taking this strategic decision in Islamic history. The decision to conquer was not a random step or the product of a mere expansionist tendency, but rather it came as a result of the interaction of a set of data that contributed to forming a clear vision among the decision-makers in the Islamic state, represented by the political and military leadership at that time.

المقدمة :

ان صناعة القرار الاسلامي في كل جوانبه السياسية والعسكرية خضع للكثير من العوامل والظروف المختلفة التي اثرت على توجهاته والنتايج المرتبة في ذلك ويبرز واضحا من خلال كل حقبة وحاكم من حكام المسلمين انذاك وارتبط كذلك في كثير من الاحيان بفلسفة الدولة الاسلامية واجتهاد السلطة الامر الذي جعل دراسته من الضرورات المهمة لمعرفة تفكير القيادة في اتخاذ القرار خلال حكم البلاد الاسلامية بشكل عام وبلاد المغرب الاسلامي في وجه الخصوص .

اولا العوامل العامة في صناعة قرار الفتح الإسلامي

جاءت في مقدمة هذه العوامل العامل الجغرافي، **إذ** لم يكن فتح المغرب قراراً عسكرياً عابراً، بل جاء نتيجة طموح سياسي بأهمية موقعه الجغرافي، كامتداد طبيعي لبلاد الإسلام مِن الشرق نحو الغرب، وكمفتاح للوصول إلى الأندلس لاحقاً، لقد أسهم الموقع الجغرافي، بما يحمله مِن أبعاد عسكرية واقتصادية، في تحفيز صانع القرار الإسلامي، خاصة في العصر الأموي، على المضي في هذا الفتح رغم الصعوبات الجغرافية والبشرية، وقد أشار عدد مِن الباحثين إلى أنّ العوامل الجغرافية كانت حاضرة بقوة في قرارات الفتح، لا سيما في شمال إفريقيا[١].

ولا بد من بيان أهمية هذا الموقع الجغرافي وتفاصيله للوقوف على الأهمية الجغرافية والأقتصادية للسيطرة الاسلامية وبالتالي معرفة صناعة قرار الفتح لهذه المنطقة، إذ يقع المغرب العربي في القسم الشمالي مِن قارة إفريقيا، وبذلك فانّه يضم الاقاليم الممتدة مِن برقة[٢] الى المحيط الاطلسي غرباً، ويذكر ابن حوقل[٣]، من مصر وبرقة الى أفريقية وناحية تونس الى سبتة[٤]وطنجة[٥]، وذكر المقدس[٦]، في حدود بلاد المغرب مِن مصر الى السوس الاقصى[٧] .

وجزيرة صقلية[٨]، والأندلس، وأول كورة مِن ناحية مصر هي برقة، في حين يذكر المؤرخ والجغرافي اليعقوبي[٩]، أنّ بلاد برقة مِن جملة اقاليم المغرب.

كما ورد لدى ياقوت الحموي[١٠]، بأن أفريقية اسم لبلاد واسعة، ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية مِن طرابلس الغرب مِن جهة برقة والاسكندرية الى بجاية، في حين يحدد عبد الواحد المراكشي[١١]، أفريقية مِن انطابلس[١٢] برقة شرقاً الى قسطنطينية غرباً وتدخل طرابلس في هذه الحدود.

واشار ابن عذاري المراكشي[١٣]عن جغرافية المغرب بقوله: "**إن حد المغرب مِن ضفة النيل بالإسكندرية، التي تلي بلاد المغرب الى آخر بلاد المغرب، وحده مدنية سلا**"، ويبدو أنّ البلدانيين والجغرافيين قد اختلفوا في تحديد جغرافية أفريقية والمغرب.

أمّا المغرب الأدنى فيضم الإقليمين الاولين مِن ناحية الشرق مِن بلاد المغرب وهما برقة وطرابلس[١٤]، ويضم اقليم المنطقة الممتدة مِن غرب مصر الى الاجزاء الشرقية مِن الجزائر والذي شهد ثلاث عواصم في العصور الوسطى هي القيروان[١٥] أيام حكم الاغالبة[١٦]، ثم المهدية[١٧]،

ايام العبيديين[١٨]، ثم تونس في عهد الحفصي[١٩] الذين حكموا الإقليم[٢٠].

ويشمل المغرب الأوسط المنطقة الممتدة مِن مدينة بجابة[٢١] حتى وادي ملوية[٢٢] وجبال تازة غرباً وقاعدة تلمسان[٢٣] وجزائر بني مزغنة، وسمي بالمغرب الأوسط لتوسطه بين المغرب الأدنى والاقصى[٢٤]؛ وسمي بذلك

لانّه ابعد اقسام المغرب عن دار الخلافة العربية الإسلامية، ويمتد مِن وادي ملوية وتلمسان شرقاً حتى مدينة اسفي[٢٥]، على المحيط الاطلسي غرباً وقاعدته مدينة فاس[٢٦]، ولابد مِن الاشارة بأن جغرافية المغرب هي وحدة متجانسة مِن الناحية الطبيعية والبشرية والاقتصادية والاجتماعية إذ يتميز بتنوع البيئة مِن السهول الساحلية على امتداد شواطئ البحر المتوسط الى سلاسل جبلية عالية تفصل السهل الساحلي عن بقية اقاليم المغرب، ثم الصحراء الكبرى الممتدة في المناطق الجنوبية منه.

يتوضح أنّ للموقع الجغرافي أهمية في العمليات العسكرية عبر التاريخ وكان للمقاتلين الفرسان دورا بارزا في الاستفادة مِن المظاهر الجغرافية مِن سهول وجبال فضلاً عن الموارد الطبيعية والخيرات الاقتصادية في ديمومة الحملات العسكرية التي كان لها دور بارز في تاريخ المغرب الإسلامي ويؤثر ذلك على توجه الحكام لصناعة القرار.

ومن الاسباب الدافعة لصناعة قرار الفتح هو وجود الروم في هذا الجزء مِن أفريقية كان يضايق وجود العرب في مصر واقرار الإسلام بها[٢٧]، وكان لرغبة العرب المسلمين في تطويق القسطنطينية مِن جهة الغرب بغزو ممتلكات الامبراطورية البيزنطية مِن الشمال الافريقي وغرب البحر المتوسط[٢٨]، كما أنّ قرب دمشق عاصمة الخلافة في العصر الأموي مِن البحر المتوسط واعتناء الامويين الشديد ببناء الاسطول العربي وسعيهم لتوفير مادته الصناعية[٢٩]، لقد كانت الطرق التي تربط بين مصر وبرقة مأمونة ومطروقة فلما فرغ عمرو بن العاص مِن فتح الاسكندرية، أراد أنّ يؤمن الحدود الغربية لمصر، مِن أيّ خطر، لاسيما خطر مهاجمة الروم الذين كان لهم حضور كبير في الشمال الافريقي[٣٠].

ومن العوامل الأخرى الدافعة نحو قرار الفتح هو العامل الديني ، إذ شكّل أحد أبرز المحفزات في اتخاذ قرار التوجّه نحو بلاد المغرب، وفي حينها كان لدى القادة الرغبة في نشر الاسلام وتوسيع رقعة الدعوة، انطلاقاً مِن التوجيهات القرآنية والنبوية التي تحثّ على تبليغ الدين للعالمين.

لقد كان الصحابة والتابعين الذين تولّوا مسؤولية القيادة السياسية والعسكرية آنذاك، يستندون في قراراتهم إلى قوله تعالى:﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾[٣١]، وهو نصّ صريح يوضّح أنّ الهدف مِن الجهاد لم يكن مجرّد التوسّع الجغرافي، بل إزالة العوائق التي تحول دون وصول الدعوة إلى الناس.

كما أنّ خطاب النبي محمد (ﷺ) الموجّه إلى الملوك والزعماء يدعم هذا التوجّه، فقد أرسل الرسول (ﷺ) رسائل إلى ملوك الأمصار يدعوهم إلى الإسلام، مثل رسالته إلى المقوقس حاكم مصر، ما يدلّ على أنّ نشر الإسلام في شمال إفريقيا، ومنه المغرب، كان امتدادًا طبيعيا لهذه السياسة التبليغية، وقد أورد ابن هشام[٣٢] هذه الرسائل في سيرته قائلًا:" **ثم كتب رسول الله (ﷺ) إلى المقوقس صاحب مصر يدعوه إلى الإسلام**"، وهو ما يُظهر التمهيد الفكري والعملي لانتقال الدعوة إلى تلك الربوع.

وعند النظر إلى الفتوحات التي سبقت فتح المغرب، يتبيّن انّها جاءت كلها ضمن هذا الإطار، إذ تمّ فتح مصر أولاً على يد عمرو بن العاص سنة(٢٠هـ)، وهي خطوة مهّدت لفتح بلاد المغرب باعتبارها الجناح الغربي لمصر، وكان القادة المسلمون يُدركون أنّ استقرار الإسلام في المغرب جزء لا يتجزأ مِن تثبيت أركان الدعوة في

شمال إفريقيا بالكامل، وقد أكّد المؤرخ ابن عبد الحكم[٣٣] هذا المعنى حين ذكر في سياق حديثه عن فتح المغرب:" **وكان المسلمون إذا فتحوا بلداً، أرسلوا إليهم يدعونهم إلى الإسلام، فإن أجابوا قبلوا منهم، وإنّ أبَوا قاتلوهم حتى يظهر دين الله** ".

كما أنّ شخصية عقبة بن نافع[٣٤]، القائد البارز في فتح بلاد المغرب، كانت تجسّد هذا البُعد الديني، حيث يُروى عنه قوله حين وصل إلى ساحل المحيط الأطلسي:"**اللهم اشهد أني قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل مِن كفر بك حتى لا يُعبد أحد سواك**"[٣٥]، وهو قولٌ صريح يُعبّر عن أنّ دافعه الأساس كان نشر الدين، وليس السعي وراء مكاسب دنيوية بحتة.

لم يقتصر قرار الفتح الإسلامي للمغرب على الأبعاد الجغرافية والدينية، بل كان للعوامل الشخصية دور ملموس في صناعة هذا القرار ودفعه نحو التنفيذ، حيث برزت طموحات القادة السياسيين والعسكريين، وحرصهم على تحقيق مكاسب شخصية مادية ومعنوية، سواء مِن خلال السعي وراء الغنائم والأموال، أم مِن خلال التقرب إلى مركز الخلافة، وترسيخ مكانتهم في الدولة الإسلامية.

ومن أبرز الشخصيات التي جسّدت هذه العوامل القائد عقبة بن نافع الفهري، الذي كان طموحه العسكري ودافعه الديني متداخلين مع رغبته في تحقيق مجد شخصي وزيادة نفوذه، وقد أشار ابن عبد الحكم إلى أنّ عقبة كان يُدرك أنّ التوغّل في بلاد المغرب سيمنحه مكانة رفيعة لدى الخليفة الأموي، خاصة وأن هذه البلاد لم تكن قد خضعت بالكامل للإسلام مِن قبل، وهو ما يُعَدّ إنجازاً كبيراً على الصعيد الشخصي والسياسي[٣٦].

أمّا على المستوى السياسي، فقد كان القادة يتطلعون إلى نيل رضا الخليفة الأموي، والتقرب إليه مِن خلال تحقيق انتصارات عسكرية تُعزّز مِن موقعهم داخل بنية الدولة، وهو ما ظهر في علاقة عقبة بن نافع ومعاوية بن أبي سفيان، حيث يروي ابن خلدون أنّ معاوية قرّب عقبة وأوكل إليه مهمة التوسّع في المغرب لما عُرف عنه مِن شجاعة وطموح، ولأن نجاحه في هذه المهمة سيزيد مِن مكانته لدى الخليفة[٣٧].

ولا يقتصر هذا العامل على عقبة وحده، بل امتد إلى قادة آخرين مثل حسان بن النعمان الغساني، الذي كان يدرك أنّ تثبيت أقدام المسلمين في بلاد المغرب سيجعله محلّ تقدير في البلاط الأموي، إلى جانب ما يحصده الجيش مِن الأموال والأنفال، وقد أشار ابن الأثير إلى أنّ الغنائم شكلت جزءًا مِن الدافع العسكري في الحملات على بلاد المغرب، بجانب الأهداف الدينية والسياسية[٣٨].

يتبيّن أنّ قرار الفتح الإسلامي للمغرب جاء نتيجة تداخل عوامل متعدّدة، أبرزها الموقع الجغرافي المهم للمنطقة كامتداد طبيعي لتأمين حدود الدولة، والأهمية الاقتصادية المرتبطة بذلك فضلاً عن الدافع الديني المتمثّل في نشر الإسلام، إلى جانب الطموحات الشخصية للقادة، سواء لتحقيق المجد، أم الحصول على الغنائم، أم التقرب مِن مركز الخلافة، هذا التداخل جعل الفتح خطوة مدروسة، تخدم المصالح الدينية والسياسية والشخصية في أنّ واحد.

المبحث الثاني

صناعة القرار السياسي والعسكري في العصر الراشدي حتى عام ٤١هـ

إنّ معرفة طبيعة صناعة القرار السياسي والعسكري في صدر الإسلام، لاسيّما في سياق الفتح الإسلامي للمغرب، تقتضي النظر في الجهات القائمة على اتخاذ القرارات السياسية والعسكرية، وقد أظهرت التجربة الإسلامية أنّ بعض القرارات كانت تُتخذ بصورة فردية مباشرة مِن الخليفة أم القائد، وذلك في الحالات التي تتطلب حسماً وسرعة، فيما كانت قرارات أخرى تعتمد على المشاورة الجماعية، حيث يُستأنس بآراء أهل الشورى، ممن عُرفوا الدراية والحكمة، قبل أنّ يُعتمد القرار ويُوجّه للتنفيذ.

كما كان لتحقيق الفتوحات في المغرب بُعد مادي لا يمكن إغفاله، يتمثّل في الغنائم والثروات التي تزخر بها تلك البلاد، وهو ما شكّل عامل جذب للقادة والجنود على السواء، وقد أوضح البلاذري هذا الجانب حين ذكر أنّ قادة الفتح، فضلاً عن نشر الدعوة، كانوا يدركون ما في بلاد المغرب مِن ثروات ومغانم، ما جعل التوجّه إليها يلقى قبولاً واسعًا بينهم[٣٩]

وتتجلى هذه المنهجية في فتوحات المغرب، إذ كان الخليفة هو صاحب القرار الأعلى، بينما يُنيب عنه الوالي، الذي يوجّه القرار إلى القائد الميداني، بالتفاعل مع آراء المجتمع المحلي والجند، وكانت هذه الطبقات الأربع تشكل في مجموعها بنية صناعة القرار السياسي في المغرب خلال تلك الفترة[٤٠]، وبناءً على ذلك فأن صناعة القرار ترتبط بالجهات التالية هي الخليفة، والوالي، والقائد الميداني ودور المجتمع والعسكر.

إن اتخاذ قرار فتح بلاد المغرب العربي يعد بمثابة صناعة قرار للإسلام بالنسبة لهم؛ وذلك مِن اجل السيطرة على هذه البلاد، إذ أنّ صانع القرار هو الذي يتحلى بصفات معينة، ويعد عقبة بن نافع اول مِن دخل أفريقية في خلافة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ)، بعد أنّ فتح مصر في سنة(٢٠هـ/٦٤١م)،ووجه عقبة بن نافع الفهري إلى لوبية[٤١] وأفريقية ، فاقتحمها، ثم توجه عمرو بن العاص بنفسه إلى برقة المسماة بالرومية الاغريقية بنطابليس، فحاصرها وقاتل اهلها من السكان المحليين[٤٢]، فتمكن مِن فتحها بعد أنّ صالح أهلها على جزية يدفعونها مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار[٤٣]، ومن برقة تجهز عمرو بن العاص لغرض فتح طرابلس، وذلك لاتمام قرار فتح طرابلس تطلب الامر الإعداد لخططاً عسكرية مِن خلال تجهيز قوتين، قوة تأخذ الطريق الساحلي، وهدفها مدينة طرابلس وما يليها مِن المدن، وعهد بقيادتها الى القائد عقبة بن نافع الفهري، وقوة فرعية هدفها المناطق الصحراوية الجنوبية واحتفظ بقيادتها لنفسه، وكان الهدف مِن هاتين القوتين هو تأمين الساحل مِن الخطر البيزنطي وتأمين المناطق الداخلية لغرض منع أيّ محاولة أم أيّ عمل تقوم به القبائل الصحراوية يعيق مِن خلاله تقدم القوات الإسلامية، وربما ندرك ما سارت به الحملات العسكرية تجاه المناطق الساحلية والمناطق الجنوبية متزامنة مع بعضها بعد أنّ تمكنت القوات الإسلامية بقيادة عمرو بن العاص مِن فتح مدينة سرت[٤٤]، بعدما حاصر مدينة طرابلس وجرد خيلاً

كثيفة مِن ليلتها وأمرهم بسرعة السير نحو مدينة سيرت، وفي غفلة من اهلها تمت السيطرة عليها والاستحواذ على الكثير من الغنائم(٤٥).

يبدو أنّ صناعة القرار العسكري الذي جاء بإخبار مشجعة للمسلمين والقادة مِن خلال القائد عقبة بن نافع الذي اسهم في استمرار فتح المناطق القريبة منها والتي تشكل بوابة أفريقية وبلاد المغرب ، مما يوضح أهمية الجانب الاستطلاعي في صناعة القرار العسكري كذلك يظهر مِن السابق أنّ صناعة قرار الفتح، جاءت قبل الشروع في العمل العسكري مِن حيث تخصيص الأموال الكثيرة التي يمكنها أنّ تغطي الحملات وكذلك بيان قدرة القائد في تنظيم الجيش والتفكير الجيد تجاه أيّ حملة عسكرية مِن خلال تجربة سابقة فضلاً عن دور الخلافة في دعم تلك الخطوات والاسهام في التخطيط لها .

هذا الامر يكشف اهمية القائد العسكري من خلال معرفته في جوانب التخطيط والمواجهة ويظهر ذلك من توصيات عمرو بن العاص الذي عرّف قادة الفتح بمدى أهمية القرب مِن الساحل، ومبلغ خطورة التوغل في الداخل، والفائدة مِن وراء كسب ولاء القبائل المغربية أم ضمان حيادها على الأقل لأحكام السيطرة على البلاد (٤٦)، غير أنّ الخليفة رفض طلبه ومنعه مِن التوغل اكثر مِن ذلك(٤٧)، فاستجاب عمرو بن العاص لذلك الامر ، وقرر العودة الى مصر بعد ان عين قائده عقبة بن نافع على هذه المناطق ، متخذاً مِن برقة مركزا له وذلك سنة٢٢هـ(٤٨).

ان النجاح العسكري الذي تحقق للمسلمين في فتح برقة وباقي المدن سالفة الذكر، فضلاً عن زيادة عدد القوات العسكرية وانكشاف اراضي أفريقية ساعد الوالي عمرو ابن العاص على المضي للإعداد العسكري وتوفير المعدات اللازمة لغرض المواجهة مع القوات الرومية في أفريقية وبدعم الخلافة حيث شن حملة عسكرية سنة (٢٣هـ-٦٤٤م)، في جيش كثيف وعدة حسنة فاجتاز برقة قاصدا طرابلس حيث عسكر بالقرب منها فارضاً عليها الحصار شهراً كاملاً لمناعتها، وليقظة الروم الذين يتولون الدفاع عنها، حتى اخرج ذات يوم طليعة من المقاتلين متنكرين في صورة صيادين، فمضوا إلى غرب المدينة في الجانب البحري ولم يكن عليها سور مِن هذه الناحية، فساروا على الضفة ومن يراهم يخالهم مِن أهل المدينة، وكانت سفن الروم شارعة في مراسيها قبالة البيوت، فانتظروا انحسار الماء ثم دخلوا المدينة حتى توصلوا إلى الكنيسة، فكبروا تكبيرة واحدة صدحت لها الآفاق وأفزعت الروم ولم يجدوا ما يقيهم مِن فزعهم غير سفنهم فأسرعوا اليها(٤٩).

وحين سمع عمرو بن العاص التكبير دفع جنوده على الأبواب ففتحوها، ولم يفلت منهم احد إلاّ مِن فر ولاذ بمركب العدو، فكان فتحا مبينا ينذر الروم بساعة انقراض تسلطهم على أفريقية والمغرب(٥٠)، واستمرت عمليات السيطرة والتوسع مِن خلال قيام عمرو بن العاص بإنزال قوة نحو الداخل أسند قيادتها إلى بسر بن أبي أرطاة(٥١)، لإخضاع جبل نفوسة(٥٢)، ثم مدينة ودان، إذ آمن أهلها سنة (٢٣هـ/٦٤٣م)(٥٣)، لكن فعاليات عمرو بن العاص العسكرية في هذا الاقليم قد توقفت بأمر مِن الخليفة عمر بن الخطاب؛ وذلك لعدم رغبته في زيادة التوغل والمجازفة بأرواح المسلمين في تلك المجاهيل(٥٤).

ظل عمرو بن العاص واليا على مصر حتى سنة (٢٥هـ/٦٤٥م)، ووخلالها لم يقم بأعمال فتح تذكر في أفريقية ، والأرجح أنّ ذلك كان؛ بسبب تردي الأوضاع في بعض المناطق كالإسكندرية التي انتفضت على الحكم الإسلامي، واغلب الظن انّه ركز جهوده في العمل على إقرار الأوضاع واستتباب الامن في مناطق مصر[٥٥].

تتضح معالم صناعة القرار الساسي تجاه الحملات العسكرية من خلال التخطيط للخروج بقرارات جيدة وقابلة لتحقق الأهداف، ويبدو ان قرار الخليفة عثمان بتكليف عبد الله بن أبي سرح بعمليات الفتح بدأ منذ سنة (٢٥هـ) وكان مِن جند مصر وقال له: "**إن فتح الله عليك فلك مِن الفيء خمس الخمس نفلا**"، وامر عبد الله بن نافع بن عبد القيس[٥٦]، وعبد الله بن نافع بن الحارث[٥٧]، بالاجتماع مع أبن أبي سرح ، فخرجوا حتى قطعوا ارض مصر، ووطئوا أرض أفريقية بالقرب من قرطاجنة وكانوا في عشرة الاف مِن شجعان المسلمين، فصالحهم اهلها على مال يؤدونه، ولم يقدموا على دخول أفريقية والتوغل فيها لكثرة اهلها[٥٨].

وبغية استكمال متطلبات القرار العسكري استمرت المغرب باعتمادها على الجهود الكثيفة، مِن بناء قاعدة أمينة تحمي تلك الإمدادات وتؤمن لها احتياجاتها، وهذا مالم يتم تأمينه في ذلك الوقت، إذ لم تكن مصر قد استوثقت أمورها بعد، فلم يزل الخطر الروماني البيزنطي قائماً، محاولين استعادت نفوذهم وسيطرتهم عليها[٥٩]، لأجل تلك الأسباب عاد عمرو بن العاص إلى الفسطاط[٦٠] ليشرف على تنظيم الادارة فيها وتحصينها وتثبيت قوة دعائمها مما يجعلها مركزاً مهماً لقيادة العمليات العسكرية لإتمام فتح المغرب للإسلام، وعندها كان عمرو بن العاص قد ترك عقبة بن نافع على رأس حامية عسكرية في مدينة برقة[٦١]، فضلاً عن نجاح عقبة في كسب ودّ كثير مِن أهالي البلاد مِن قبائل البربر من لواتة [٦٢] ونفوسة ونفزاوة فدخلوا في الإسلام[٦٣].

شهدت السياسة العسكرية صناعة قرار جديد في فتح بلاد المغرب ايام الخليفة عثمان بن عفان(٢٥-٣٦هـ) وكانت الاستعدادات تجري قبل اتخاذ هذا القرار مثلما جاء في قصة الاستخارة عن المسور ابن مخرمة[٦٤] حيث روى انّه خرج مِن منزله ليلاً قاصداً المسجد النبوي فإذا بعثمان بن عفان في مصلى النبي (ﷺ) فوجده يصلي فصلى خلفه ثم جلس فدعى ليلاً طويلاً حتى اذن المؤذن ثم قام منصرفاً الى بيته، فقال:" **فقمت في وجهه فسلمت عليه فقال: يابن مخرمة اني استخرت الله تعالى في ليلتي هذه في بعث الجيوش الى أفريقية وقد كتب الى عبد الله ابن أبي سرح يخبر بخبره مع المشركين وغلبها وقرب حوزهم مِن المسلمين فقلت: أستخار الله امير المسلمين فقال فما رأيك يا ابن مخرمة ؟ فقلت اغزوهم فقال اجمع اليوم الاكابر مِن اصحاب الرسول (ﷺ) واستشيرهم فما اجمعوا عليه فعلته أم ما اجمع عليه اكثرهم فعلته**"[٦٥] .

جاءت صناعة القرارات السياسية العسكرية لتنسجم مع رغبة الولاية في مصر مِن خلال قرار الفتح وذلك عبر الحملة الاستطلاعية، وكذلك الحملات المنظمة التي انطلقت بعد ذلك، ولهذا وفرت القيادة المتطلبات الاساسية التي تحتاجها هذه المواجهة وبدأت تلك باتخاذ الخطوات منها فتح بيوت السلاح لعبد الله أبي سرح والمقاتلين المسلمين في هذه الحملة[٦٦]، فضلا عن الدعوة الى مشاركة مشاهير العرب وابناء

الصحابة في هذه المواجهة وبالفعل اشترك كثير منهم لذلك سميت بحملة العبادلة[٦٧] فضلاً عن مساهمة رجال العرب والقبائل المحيطة بالمدينة مِن الحجاز حتى بلغت الحملة العشرين ألف مقاتل[٦٨] .

بدا ابن أبي سرح بإرسال حملات صغيرة يغلب عليها الطابع الاستطلاعي، على الرغم مما ترجع به مِن بعض الغنائم الا انها في الوقت نفسه تعود بتقارير واخبار عن اوضاع المناطق المختلفة وتلك التقارير جعلته يرسل الى الخليفة طالباً المدد منه للقيام بعمليات الفتح وتحرير المناطق التي كان المسلمون قد فتحوها سابقاً، وبعد استشارة الخليفة عثمان بن عفان لاصحابه في امر المدد لابن أبي سرح، جهز جيشاً يتألف مِن اعداد كبيرة مِن رجال القبائل المحيطة بالمدينة والحجاز منها قبائل مزينة وكانت بقيادة الفارس بلال بن الحارث[٦٩]، وبعض القبائل الآخرى مثل: جهينة[٧٠]، وسليم[٧١]، واسلم[٧٢]، وغفار[٧٣]، وغطفان[٧٤]، وفزا[٧٥]، أما في مصر التحق الكثير مِن رجال القبائل العربية بجيش بن أبي سرح ومعظمهم مِن اليمنية لا سيما مهرة[٧٦]، وغنث[٧٧] وميدعان[٧٨] مِن الأزد، وبعض رجال القبائل مِن كندة الذين كانوا بقيادة الفارس المقداد بن الاسود الكندي[٧٩]، وبعض مِن لخم وجذام[٨٠]، ونجد تنظيم الوالي ابن أبي سرح لجيشه على افضل المستويات [٨١].

ويبدو من السابق أنّ صناعة القرار اللحملات العسكرية خضعت للعديد من الجوانب الأخرى مثل االغنائم المتوقع ان يتم الحصول عليه مِن عمليات الفتح، فضلاً عن تحقيق الجاهزية من خلال تنظيم الجيش والتفكير الجيد تجاه الحملة العسكرية ومراجعة التجارب السابقة .

لقد تم الاستعداد للمواجهة من خلال عمل الخطة العسكرية عن طريق الوالي عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وهذا ما يظهر خروج جيش العبادلة السبعة مِن مصر سنة (٢٧هـ/٦٤٧م) وعلى قيادته وهدفه مدينة سبيطلة [٨٢]، التي يتخذها الروم البيزنطيين عاصمة لهم ويحكمها يومئذ جريجوريوس[٨٣] الذي كان قد خلع طاعة الإمبراطور هرقل واستقل بحكم المغرب [٨٤]، وفي مدينة برقة التي كانت قاعدة أفريقية ومنطلق الحملات نحو المغرب، وفيها حامية يقودها عقبة بن نافع الفهري، التقت بحملة العبادلة بحامية برقة وانضمت جزءا من القوات اليها لتواصل زحفها لاستكشاف المناطق المتقدمة وتأمين خطوط مواصلات الحملة [٨٥] .

ومن الجدير بالذكر أن عقبة بن نافع قد اتخذ سرت ببرقة مركزا لقواته، ومنها قام بغزوات عدة الى داخل البلاد لاسيما الواحات الغربية مِن فزان وودان وزويلة والسودان[٨٦]، ويبدو انّه كان يرسل بتقاريره عن الأوضاع في المناطق المختلفة، الأمر الذي أفاد أبن أبي سراح في وذلك عقب اطلاعه على تلك التقارير الهامة.

والملاحظ على أنّ القائد ابن أبي سرح لم يضيع الوقت عندما حاصر طرابلس هذه المرة لان اهلها استفادوا مِن التجربة السابقة حين فتحها المسلمون، فحصنوها جيدا وكذلك لم يمعن في مقاتلة الحامية البيزنطية في مدينة قابس[٨٧]، ويبدو انّه اكتفى بإرسال عدد مِن السرايا قبل أنّ يتوجه الى سبيطلة مقر الحاكم البيزنطي جرجير أم جريجوريوس[٨٨]، والارجح أنّ مهمة تلك السرايا التي سيقوم بها الفرسان كانت هجومية لمباغتة اعوان الحاكم البيزنطي، فضلاً عن سرايا الاستطلاع وذلك لمعرفة الاخبار وتمهيد الأوضاع للهجوم على سبيطلة مِن قبل الجيش الإسلامي في سنة (٢٧هـ)، إذ توجهت الحملة مباشرة اليها [٨٩]، حيث كان (جرجير) معسكرا بجيشه الضخم، وعدده يتراوح بين مائة وعشرين

ألف جندي، ومائة ألف جندي[٩٠]، ونجد بعض المصادر تورد روايات عدة حول فتح سبيطلة ــ قام الدكتور عبدالعزيز سالم باستعراضها[٩١].

نزلت القوات الاسلامية بموضع يسمى قمونية[٩٢] وهو موضع بالقرب مدينة القيروان، وهناك بث السرايا في كل ناحية وكان هناك ملك جرجير الي تبادل الرسائل بينه وبين أبن سرح وقد دعاه للإسلام فرفض رفضا قاطعا فعاه إلى اخراج الجزية كل عام فقال جرجير:" **لو سألتموني درهما لم افعل**" فتهيأ الناس للقتال، فكان مِن بين القرارات أنّ يشن ابن سرح القتال على الملك جرجير؛ لأنه لم يقبل الدعوة إلى الإسلام ولم يقبل دفع الجزية لذلك قرر ابن سرح أنّ يهيئ جيشه للقتال[٩٣].

وفي العادة كان المسلمين خلال هذه الحقبة يعرضون على المدن ثلاث امور هي : الإسلام، أم الجزية، أم الحرب، وايا كان فان اختيار المواجهة هو القرار في نهاية المطاف ، ونشبت معركة عنيفة بين الجيشين، ولان جيش الروم كان ضخم العدد مقارنة بجيش المسلمين إذ انضمت الى جرجير جماعات مِن الروم والبربر الموالين لهم مِن العاصمة ومن الحصون الغربية وسبيطلة[٩٤]، فاشتد الضغط على المسلمين، وخشي ابن أبي سرح أنّ يتمكن البيزنطيون مِن التغلب على المسلمين، وهنا تذكر رواية انّه قام بطلب المدد مِن الخليفة عثمان بن عفان وارسل الفارس عبدالملك بن مروان الى المدينة ليسلم طلب المدد، ويقال مروان بن الحكم، وإنّ كان هذا الطلب يبدو مستبعداً؛ نظرا لطول المسافة الى المدينة التي تأخذ وقتاً طويلاً. وقد استمرت المناوشات اياما كان القتال يستمر فيها مِن الصباح الى الظهر[٩٥].

تظهر الروايات دور ابن الزبير في صناعة الخطة العسكرية في حسم موقعة سبيطلة[٩٦]، وإنّ هناك فرصة لقتل القائد جرجير، فاقترح على ابن أبي سرح أنّ يجعل معه ثلاثين فارساً يحمون ظهره عند اقتحام مخيم جرجير، وتم تنفيذ الخطة فيقول ابن الزبير: "**فحملت مِن الوجه الذي هو جرجير وذب عني الذين انتدبوا معي أو اتبعوني حتى خرقت صفوفهم – البيزنطيين– الى ارض خالية فضاء بيني وبينهم، فو الله ما حسب إلاّ اني رسول اليه حتى رأى ما بي مِن اثر السلاح، فقدر اني هارب اليه، فلما ادركته طعنته فسقط... واجهزت عليه ورفعت رأسه على رمحي، وجال اصحابه، وحمل المسلمون مِن ناحيتي وكبروا، فأنهزم الروم وقتلهم المسلمون كيف شاءوا، وثأرت الكمائن مِن كل جهة ومكان...**"[٩٧].

يظهر مما اطلعنا عليه أنّ الدور البارز في صناعة القرار في غزو جرجير ولجماعة للفرسان في حسم هذه المعركة العظيمة لصالح المسلمين، بالرغم مِن التفوق العددي الهائل لقوات الروم البيزنطيين فكان لتلك الخطة التي نفذها المسلمون اثرها الفاعل في تحطيم معنويات الجند البيزنطيين، فقد اذهلهم ذلك الهجوم المباغت وقت في عضدهم وهم يرون مصرع قائدهم، مما أعطى الفرصة للجيش الإسلامي بفرسانه ومشاته أنّ يشدوا الكرة على اعدائهم ويمزقوا أوصالهم، وبناءً على ذلك فان ما يظهر مِن فرسان المسلمين ورجالهم نحو سبيطلة التي سبقت خيولهم الى أسوارها قبل أنّ تصل خيول فلول الروم، وتمكن المسلمون مِن فتح سبيطلة بعد أنّ قضوا على حاميتها وغنموا فيها غنائم كبيرة[٩٨].

ان الانتصار العسكري في سبيلطة شجع القادة على اتخاذ قرارات جديدة في فتح السيطرة على مناطق أخرى وكذلك الزحف نحو مدينة قرطاجنة فضلاً عن الحملة على حصن الاجم حيث فتحه في هذه السنة فضلاً عن ذلك اضطر زعماء بعض المدن الاخرى في أفريقية الى طلب الصلح[٩٩].

ثم أراد ابن أبي سرح أنّ يستغل هذا الانتصار بالاستيلاء على قرطاجنة[١٠٠]، فبث السرايا في البلاد فبلغت قفصه[١٠١] فسبوا وغنموا، كما سير حملة الى حصن الأجم وتم فتحة[١٠٢]، وتلك السرايا لا بد انها تكونت مِن فرسان الجيش لطبيعة المهمة المكلفة بها وما يتطلبه الوضع مِن سرعة، وقد اضطر زعماء المدن الأفريقية الى طلب الصلح مع عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وإنّ يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار مِن الذهب على أنّ يكف عنهم ويعود مِن حيث اتى، فوافق بن أبي سراح[١٠٣].

إن اتخاذ قرار العودة مِن قبل ابن أبي سرح لم يكن ايجابيا فبعد هذا النصر الكبير أضاع عليه فرصة استثمار ذلك النصر، فلم يعين قائداً على أفريقية ، وقد استغرقت غزواته تلك ما يقارب خمسة عشر شهراً، ورأوا أنّ ما قام به لا يعدو أنّ يكون غارة طويلة الامد[١٠٤]، وقد أوجز مؤنس[١٠٥]، أسباب القرار المتخذ بمغادرته البلاد دون ان يترك والياً عليها وهي على النحو التالي:

١- ان مهمة عمليات الفتح كانت تتطلب جهود كثيفة وقاعدة أمينة تحمي تلك الامدادات ومنطقة استيطان في الاراضي التي فتحت حديثاً وهي مِن احدى السلبيات التي أخذت على حملة عبدالله بن أبي سرح، ويمكن الأخذ برأي عبد العزيز سالم بقوله: إن مصر لم تكن قد استوثقت امورها بعد، فلم يزل الخطر الروماني البيزنطي قائماً، محاولين استعادة نفوذهم وسيطرتهم عليها[١٠٦]،وفي تلك المدة كان المشرق الإسلامي يشهد توتراً شديداً نتيجة لقتل الخليفة عثمان بن عفان والذي كان هذا السبب؛ الذي انهى حملته نتيجة لارتباطه بأحداث المشرق الإسلامي بحكم الفتنة الكبرى التي حدثت، و لو كانت الدولة البيزنطية بين سني (٣٥-٤٥هـ/٦٥٥-٦٦٥م) على شيء مِن الانتظام والقوة لاستطاعت أنّ تستعيد أفريقية على أهون سبب[١٠٧].

٢- استغرقت هذه الحملة تقريباً الخمسة عشر شهراً، انسحب بعدها أبن أبي سرح عائداً إلى الفسطاط، إذ يبدو انّه وضع اعتبارات خاصة لعودته الى مصر، كأن تكون تحركات القوات الرومانية في البحر المتوسط والمدن الحصينة، والمدة التي قضاها في تلك الحملة والإنهاك الذي أصاب قواته[١٠٨]، دفعته الى إعادة التنظيم بعد أنّ أخذ على الروم العهد والجزية التي أخذت منهم.

ويتضح من هذه الحملة العسكرية التي أدتّ إلى سقوط مدينة سبيطلة بيد المسلمين إلى انهيار الحكم البيزنطي في معظم المناطق التي كانت تحت نفوذ جرجير[١٠٩]، وتوالي انتصارات المسلمين في مواقع متعددة مما دفع الروم البيزنطيين الى اللجوء الى الحصون والمعاقل[١١٠]، مما أدى بالنتيجة إلى اذعان رؤسائهم لمطالب المسلمين بدفع مبالغ كبيرة بلغت الثلاثمائة قنطار مِن الذهب[١١١].

وتجدر الاشارة الي أنّ سهم الفارس مِن الغنائم في فتح سبيطلة كانت ثلاثة الاف دينار وسهم الراجل ألف دينار[١١٢] وايا كان فقد وردت اشارات الى أنّ عبدالله بن أبي سرح أعاد الكرة على أفريقية سنة (٣٣هـ/٦٥٣م) حين نقض أهلها العهد فانتصر عليهم وأعاد النظام الى ربوعهم، واقرهم على الإسلام والجزية، كما أنّ ابن أبي

سرح ركز جهوده لبناء أسطول بحري عربي، مِن أجل إنهاء السيطرة البيزنطية على البحر المتوسط، وقد قام سنة (٣٤هـ/٦٥٤م) بمهاجمة الاسطول البيزنطي شرقي البحر المتوسط وهزمه في المعركة المشهورة باسم ذات الصواري[١١٣]، ويظهر أنّ الظروف السياسية التي كانت تمر بها دولة الخلافة وما أصابها مِن اضطرابات ومنازعات قد أدتّ الى انحسار واضح في عملية الفتوحات في أفريقية ؛ لما شهده المشرق من أحداث الفتنة بعد قتل الخليفة عثمان بن عفان الأمر الذي أدى الى أنقطاع الامدادات عن القوات في المغرب وتحول الاتجاه نحو بلاد المشرق[١١٤].

ثالثاً : صناعة القرار السياسي و العسكري في العصر الأموي حتى عام ٩٢هـ

شكّل العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ) مرحلة مفصلية في تاريخ الدولة الإسلامية، تميّزت باتساع رقعة الفتوحات، وترسيخ أسس الحكم المركزي، وتطوّر أساليب الإدارة العسكرية، ومن أبرز الملامح التي برزت في هذا العصر، تطور صناعة القرار العسكري، بوصفها عنصراً حيوياً في توجيه الجيوش، وتوسيع حدود الدولة، وإخماد الفتن والثورات الداخلية.

ويعد القرار العسكري آنذاك نتاج تفاعل بين الخلافة المركزية في دمشق وبين الولاة والقادة الميدانيين، الذين أُوكلت إليهم مهام كبرى تتعلق بالفتح، والإدارة، وتثبيت الأمن، وقد عُرف عدد مِن خلفاء بني أمية بسطوتهم في توجيه دفة القرار العسكري، مثل معاوية بن أبي سفيان[١١٥]، وعبد الملك بن مروان[١١٦]، والوليد بن عبد الملك[١١٧]، ممن أظهروا إدراكا لأهمية التخطيط العسكري طويل الأمد، واختيار القادة الأكفاء، وربط القرار العسكري بالمصلحة السياسية والاقتصادية.

تنوعت آليات اتخاذ القرار العسكري في العصر الأموي، فشملت إصدار الأوامر المباشرة مِن الخليفة، والمراسلات بين الولاة، والتقارير الاستخبارية مِن ساحة المعركة، والمشورة المحدودة، فضلا عن التقييم المستمر لإداء القادة، وعزلهم أم تثبيتهم بحسب نتائج المعارك والفتوحات.

وكان التواصل بين الولاة والمركز يتم عبر مراسلات مستمرة تحمل تقارير رسائل عن حركة الجيوش وأحوال المناطق المفتوحة، كما يقول ابن عبد الحكم[١١٨] :"**كان عقبة يرسل إلى الخليفة رسائل تفصيلية عن سير الفتوحات، ويستشير في مسألة تعيين الولاة وحركات الجيش، مما يتيح للخليفة اتخاذ القرار المناسب بناءً على واقع الميدان**".

أمّا فيما يتعلق بالمشورة، فقد كان هناك مجال محدود لها بين كبار القادة وأهل الرأي، حيث يؤكد الذهبي[١١٩]: "**لم يكن القرار في الحملات الكبرى مجرد صدور أمر فردي، بل كان يأخذ في كثير مِن الأحيان هيئة جماعية تستشير فيها الخبرات العسكرية والسياسية**".

وكانت سياسة تقييم الإداء جزءا أساسيا مِن آليات اتخاذ القرار، فقد كان القادة يثبّتون في مواقعهم إذا نجحوا، ويعزلون إذا قصروا، وهو ما أكده ابن خلدون[١٢٠]:"**كان مِن خصائص الدولة الأموية الحرص على تثبيت القادة الأكفاء في مواقعهم وعزل مِن يخلّ بالتوجيهات، وكان هذا سببا في استمرار الفتوحات وثبات الدولة**".

أن صناعة القرار العسكري في العصر الأموي كانت نظاما متكاملاً بين السلطة المركزية، والمعلومات الميدانية، المشورة المحدودة، والتقييم المستمر، ما ساعد على تحقيق النجاح والتوسع في الفتوحات، لا سيما في بلاد المغرب حتى عام (٩٢هـ)، فمع بدايات العصر الأموي (٤١هـ) توقفت الفتوحات لبلاد المغرب؛ وذلك لمجموعة اسباب هي أنّ مراحل الفتح وصنع القرار في السياسة الخارجية والحملات العسكرية مِن قبل القادة العرب المسلمين هو اول خطوة مِن صناعة القرار للفتح، وهذه القرارات ما هي إلاّ مراحل لفتح المغرب الإسلامي[١٢١]، وقد اثرت فتنة عثمان وما تلاها مِن الاحداث في نشاط البعوث حيث لم يكن مِن الميسور للقادة والجند أنّ يستمروا في الفتوح بعد أنّ انتشرت نيران هذه الفتنة حيث انقطعت عنهم الامدادات وكان مِن الصعب ارسال الجند الى الأطراف ولكن بعد استقرار الامور لمعاوية كادت الحملات العسكرية الأولى في السيطرة على مناطق المغرب[١٢٢].

إن صناعة قرار الفتح جاء بعد أنهاء سنوات الفتنة وتوفر الفرصة الملائمة مستغلين سخط تلك البلاد من الروم[١٢٣]، إذ استنجد أهل أفريقية بالعرب ليخلصوهم مِن مظالم الروم الذين قد ابتدعوا مذهباً جديداً واخذوا يفرضونه على أهل الولايات وكذلك يذكر ابن الاثير أنّ هرقل قد أرسل الى اهلها بطريقاً يأمره بأخذ الأموال والضرائب منهم مثلما اخذ المسلمون[١٢٤].

كانت امور أفريقية على حال مِن الاضطراب إذ ذكر أنّ معاوية ابن حديج[١٢٥] قد وصل الى أفريقية وهي نار تضطرم؛ لأن الدولة ارادت أنّ ترهق الاهلين بدفع مبلغ عظيم يوازي مما دفعوه للعرب فاشتد النزاع بين الفريقين حتى اضطر الافارقة الى طرد عامل الامبراطور فعاد الى بلاده، و ربما كان ذلك هو السبب؛ في ارسال الجيش الاسلامي بقيادة معاوية ابن حديج وكانت سلطة الامبراطور قد ضعفت بحيث لم يبقَ منهم إلاّ القليل[١٢٦].

سار معاوية ابن حديج على رأس عشرة الالف جندي[١٢٧]، يريد أفريقية وقد سار على مقربة مِن الساحل وقد تقدم حتى افضى الى سهل تونس وحط رحاله في ناحية قمونيه، وكان معه في جيشه نفر كبير مِن الصحابة والتابعين ثم تقدم معاوية الى الشمال حيث اقترب مِن البحر واستقر في مكان يسمى القرن حيث اتخذه مركزاً لأعماله، ومن هناك أرسل عبد الله ابن الزبير بتتبع الروم فاستولى عبدالله على سوسة[١٢٨]، وغنم منها بعض الغنائم ثم بعد ذلك وقع اختيار معاوية ابن حديج على عبد الملك بن مروان حيث قام بالذهاب غرباً حيث حصن جلولاء[١٢٩] وقد استطاع الاستيلاء عليها لكن خلافاً قد وقع على قسمة غنائم جلولاء بين معاوية ابن حديج وعبدالملك بن مروان حيث أراد عبد الملك أنّ يختص بالغنيمة له ومن رافقه مِن الجند في حين رأى معاوية انها مِن حق الجيش كله فاضطر ابن حديج الى استشارة الخليفة معاوية بن أبي سفيان حيث حسم الاخير النزاع وقرر أنّ الغنائم مِن حق الجيش كله[١٣٠]، ثم سار معاوية الى الشمال حيث كانت وجهته بنزرت[١٣١] حيث افتتحها وخلف بعد ذلك على طرابلس صحابياً اسمه رويفع بن ثابت الأنصاري[١٣٢]، حيث قام الأخير بحملة قصيرة عبر بها البحر الى جربة وهي جزيرة مجاورة للساحل، ففتحها وعاد سريعاً، ولم تكن لحملة

معاوية ابن حديج أيّ نتائج تذكر حيث لم تكن خطوة لإتمام الفتح الإسلامي للبلاد وانما كانت غارة قد طالت حيث استولى العرب فيها على مدينتين قليلتي الاهمية ثم تخلو عنها وعادوا[١٣٣].

بقدوم عقبة بن نافع الفهري ينتهي دور المحاولات الأولى ويبدأ الفتح الثابت المستقر، وتعد اعماله الحجر الاول في بناء أفريقية الإسلامية وقد بدأ عمله والمسلمون في سهل تونس وانتهى منه والمسلمون في برقة وإنّ حملته الكبرى كانت قوية استطاعت أنّ تشق طريقها وسط البلاد وتمهد كل شيء في سبيلها حتى تنتهي الى المحيط[١٣٤].

لقد تمتعت شخصية عقبة بميزات معينة مكنته مِن اتخاذ خطوات كبيرة وقرارات مهمة في السيطرة الإسلامية[١٣٥]، وقد طال به الزمن وهو يترقب الفرصة ليستأنف ما بدأه وهو في ولاية عمر الأولى مِن الفتح في فزان وودان وما يجاورهما مِن نواحي الصحراء وحيث أنّ طول عهده بأفريقية وكثرة اشتغاله بحروبها قد مكنه مِن تكوين صورة واضحة عن هذه البلاد حيث اتصل بأهلها وعرف الكثير مِن اخلاقهم وجلس في ربوعها فألم بطبيعتها وتفطن الى امثل السبل لفتوحها واخضاعها وقد عرف أنّ فتح المغرب لا يثبت إلاّ بأمرين اولهما إنشاء مركز للعرب في قلب أفريقية تعسكر فيه حاميتهم وتوضع فيه اموالهم وتأمن نسائهم واثقالهم ويخرجون منه الى الغزو _غزو البربر_ أنفسهم والتوغل في بلادهم وادراكهم في مساكنهم في الهضاب والقفر والصحراء وسفوح الجبال بدلاً مِن الاكتفاء بغزو مدائن الساحل ونهبها ثم العودة بالغنيمة[١٣٦].

وقد بعث معاوية بن أبي سفيان الى عقبة بن نافع الفهري بعد أنّ عاد معاوية بن حديج مِن حملته سنة (٤٧هـ-٦٦٧م) بغنيمة قليلة وقد امره بالمسير الى أفريقية ومده بالجند فذهب مسرعاً[١٣٧].

اتخذ عقبة قرار بمسيرة الى أفريقية حيث اتخذ في طريقه داخل البلاد مباعداً الساحل وقد لزم هذه الخطة في كل اعماله وكان السبب؛ في هذا القرار هو الابتعاد عن الاقليم الساحلي المليء بالحصون والمحارس وتفضيله الطريق الداخلي المقفر الذي لا تكون فيه إلاّ مقاومة ضئيلة مِن القبائل البربرية وسكان الواحات وقد كان هذا القرار نتائج سلبية حيث جعلت مِن غزواته مغامرات قليلة الجدوى وقلة ما فتح في الذي اثنائها مِن مدائن البلاد الكبرى وحصونها المهمة، وقد صار عقبة متنقلاً بين اقاليم الواحات التي لقيها في طريقه مثل غدامس[١٣٨] وقصطيليه[١٣٩]، ثم افضى الى أفريقية واتجه الى موقع قمونيه الذي كان معاوية ابن حديج قد عسكر فيه قبله فوقع اختياره عليه ليقينه أنّ فيه المدينة التي كان قد عقد العزم على بنائها[١٤٠].

كما أنّ عقبة بن نافع تم عزله بعد انشغاله ببناء مدينة القيروان فضلاً عن خلافه مع والي مصر مسلمة بن مخلد[١٤١] وربما جاء هذا العزل بسبب تأثير هذا الذي ساءه انصراف عقبة عند فكاد له وسهل مهمة عزله[١٤٢].

يمكن القول أنّ صناعة القرار العسكري في عهد عقبة بن نافع الفهري تميزت بالمرونة والقدرة على التكيف مع الواقع السياسي والعسكري في شمال إفريقية، فقد اتسمت قراراته بالتخطيط الاستراتيجي الدقيق، حيث بدأ بتمهيد الأرض في المناطق المفتوحة مثل سهل تونس، ثم توسع بثبات نحو برقة، مستفيدا مِن القوة العسكرية المنظمة والحملات القوية التي شقت طريقها عبر البلاد، الأمر الذي يوضح قدرة القيادة الإسلامية آنذاك على

اتخاذ قرارات عسكرية متسلسلة ومدروسة، تراعي توالي الأحداث وتطور الميدان، فضلاً عن حرصها على بناء قواعد مستدامة للسيطرة السياسية والعسكرية، مما مهد لبناء إفريقية الإسلامية وازدهارها.

لا بد مِن بيان كيفية إنجاح القرار العسكري، والذي يعتمد على وجود عوامل عدة أساسية تفضي إلى تحقيق ذلك النجاح. مِن بين هذه العوامل، تبرز أهمية القيادة التي تمتلك قدرة التفكير السليم في اتخاذ القرارات المصيرية، ففي هذا السياق، تولى أبوالمهاجر دينار[١٤٣] قيادة الجيش في شمال إفريقيا بعد عزل القائد عقبة بن نافع الفهري، وكان دوره محورياً في تعزيز السيطرة الإسلامية على المغرب الإسلامي، اتخذ أبو المهاجر مِن قاعدة جبل وسلات، التي كانت مسكناً لقبيلة مزاته المغربية، مركزاً لولايته السياسية والعسكرية، ويُرجح أنّ قرار أبي المهاجر في اختيار هذه القاعدة الجديدة جاء انطلاقاً مِن استراتيجية سياسية ترتكز على التقرب مِن القبائل المحلية، وكسبهم إلى الإسلام بالحكمة واللين، وربط أواصر التحالف معهم لمواجهة الروم الدخلاء، يعكس هذا التوجه السياسي الجديد وعي القيادة الإسلامية بأهمية بناء تحالفات محلية تدعم الاستقرار وتديم النفوذ الإسلامي في المنطقة[١٤٤]، وربما كان قرار أبي المهاجر في اتخاذه قاعدة جديدة لولايته وسط القبائل المغربية ليؤكد لهذه القبائل أنّ إتجاهاً سياسياً جديداً سيقوم على أساس التقرب مِن السكان الأصليين وكسبهم للإسلام باللين والحكمة والحسنى وربط اواصر الحلف معهم ضد الروم الدخلاء.

ويعد أول مِن اتخذ قرار تطبيق سياسة الاستقرار في هذا المكان وإنهاء العمل العسكري، فأقام كامل فصول السنة في أفريقية ويرى موسى لقبال أنّ هذه السياسة لم تكن بالجديدة، إذ أنّ بذورها قد بدأت بمعسكر القرن، وطبقت اساساً في بناء القيروان التي تعد أول قاعدة للاستقرار والحكم، وإنّ عقبة قد عزل ولذلك لم تتضح سياسته بعد[١٤٥].

اتخذ ابو المهاجر مجموعة قرارات مهمة في تغيير اليساسة العسكري من خلال هدفين هما:

١ـ العمل على كسب ودّ قبائل البربر، ودعوتهم الى الإسلام والاعتماد عليهم في اجتثاث معاقل الروم البيزنطيين، ولا غرو في أنّ اِسلام زعيم قبيلة أورية [١٤٦] المغربية المدعو كسيلة، كان حدثاً مهماً له معناه وأثره البعيد في نجاح القوات العربية الإسلامية مِن تأدية واجبها الأسمى مِن حملاتها العسكرية وهو نشر الإسلام، أمّا تأثيره، فكان كسيلة لم يُسلِم بمفرده وإنما أسلم معه نفر كثير مِن قومه أنّ لم نقل قبائل أوربة عامة[١٤٧].

٢ـ السيطرة الكاملة مِن قبل جيش أبي المهاجر على عموم أفريقية من القوات الرومية، إذ عمل على مواجهة مواقعهم المتبقية في قرطاجنة ومدينة تونس، وكذلك عمل على إبقاء معسكر قريب مِن المدينة ليمارس نشاطه ضدهم، وتوجه بالقائد حنش بن عبد الله الصنعاني[١٤٨]، على رأس جيش لفتح جزيرة شريك ثم عقد صلحاً مع الروم في ذلك الوقت، ويرى موسى لقبال ان ذلك الصلح جرى مقابل بعض المناطق في افريقية ويظهر ذلك من خلال قولهِ: فالأرجح أنّ يكون شرط على الروم أنّ يحتفظ المسلمون بما استولوا عليه مِن مناطق حول شبه جزيرة شريك[١٤٩].

وعندما نريد تقييم جهود أبي المهاجر دينار، نعترف لا محالة بأهمية دوره في تقدم حركة الفتح ونشر الإسلام بين سكان المجتمع المغربي، لاسيما المغرب الأوسط الذي يعد أول قائد مسلم اوغل فيه، حتى أصبح

سكانه حلفاء يوثق بهم، وقد نجح في تحطيم مقاومة الروم البيزنطيين واقتحام مدينة قرطاجنة، "**ولو لم يكن هذا القائد سياسياً متسامحاً وذا هدف محدد لما استطاع أنّ يحصل على هذه النتائج الطيبة الثمار...**"[١٥٠].

يبدو أنّ صناعة القرار تغيرت بعد أنّ تغير الخليفة الأموي معاوية الذي كان يميل نحو أختيار القادة الموالين له؛ لذلك تم إعادة أختيار القائد عقبة بن نافع في الولاية الثانية لأفريقية سنة (٦٢هـ/٦٨١م) في خلافة يزيد بن معاوية، يعني ذلك أنّ على صانع القرار التوجه بسياسة جديدة تخدم مصالح هذا الخليفة الأموي، وبدأها فور وصوله الى أفريقية بإتخاذ مجموعة قرارات منها: ترك القاعدة العسكرية لأبي المهاجر دينار و المسماة بالتكرور[١٥١]، وإعادة تجديد ما خرب مِن مباني مدينة القيروان، وعمل على تنظيم شؤون الولاية، واقرار الأمور فيها، وعندما تم له ذلك عزم على القيام بحملته المشهورة في بلاد المغرب، إذ استخلف زهير بن قيس البلوي[١٥٢] وعمر بن علي القرشي على مدينة القيروان[١٥٣]، تدعمهما حامية عربية كبيرة العدد لحراسة المدينة والدفاع عنها[١٥٤]، وقد أكد عقبة مهمته الجهادية بوصيته لأولاده التي جاء فيها: "**اني قد بعت نفسي مِن الله، فلا أزال أجاهد مِن كفر بالله، وأراكم لا ترونني بعد يومكم هذا**"[١٥٥]، وقدرت حملة عقبة بعشرة آلاف مقاتل[١٥٦].

بدأت الحملة عبر طريق الهضبة غرباً حتى وصل الى مدينة باغاية[١٥٧] اذ التقى قوات الروم الهائلة العدد ومعهم حلفاؤهم في تلك المدينة المطلة على جبل أوراس[١٥٨]، فأوقع فيهم الهزيمة، ثم قصد اقليم الزاب وهناك الحق الهزيمة بأعدائه مِن الروم ومن معهم مِن الحلفاء، وألجأهم الى الحصون، وتواصلت انتصارات عقبة على الروم حتى لاذت فلولهم بحصن تاهرت[١٥٩].

وجد عقبة بعد ذلك نفسه أمام جموع كبيرة مِن الروم والبربر[١٦٠]، وكانت القوات العربية الإسلامية قد استعدت لخوض غمار المعركة، فقام عقبة بن نافع خطيباً يحث القوم على الصبر والصمود وملاقاة الأعداء بقوة القلوب المفعمة بالإيمان وحب الجهاد[١٦١]، والتقى الطرفان وجرت معركة حامية الوطيس، ثقلت على المقاتلين المسلمين، لكن الصمود والصبر والإيمان بالله أعجز جموع الروم وحلفاءهم مِن بعض البربر، فولت قواتهم منهزمة تريد الاحتماء بالمدينة، لكن المسلمين لم يمكنوهم مِن هدفهم فقضوا عليهم وقطعوا آثارهم[١٦٢].

وفي مدينة تلمسان[١٦٣] خاض عقبة معركة شديدة مع الروم انتصر فيها، ثم مضى في طريقه حتى وصل طنجة وسبته وحاكمها يُليان الذي اعترف له بالتبعية والولاء وزوده بمعلومات مهمة عن أحوال بلاد الروم[١٦٤]، ويبدو أنّ تلك أول معلومة وصلت الى مسامع المسلمين عن الأندلس اذ فتحت أعينهم ونبهتهم الى ذلك.

بعد ذلك قصد عقبة بن نافع الصحراء ومضارب أهل اللثام مِن بطون قبيلة صنهاجة الكبرى حتى اشرف على أسفي على المحيط الأطلسي، وعندها وقف على المحيط وأخذ الحماس بمشاعره فأوغل بفرسه وسط الماء ثم لوى عنان فرسه، وقيل انّه دخل مياه المحيط حتى بلغ الماء بطن فرسه ورفع يده الى السماء معتذراً قائلاً: "**اللهم أشهد أني قد بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد اقاتل مِن كفر بك حتى لا يعبد أحد دونك**"[١٦٥].

وبعد أنّ حقق الانتصارات العظيمة عزم على العودة، فدار جنوبي ماسة[١٦٦]، ثم مضى شمالاً الى موضع شاكر[١٦٧]، حيث أسس رباطاً في هذه المنطقة[١٦٨]، كما واتخذ مجموعة قرارات مهمة وفي طريق العودة ضم للإسلام مجموعة مِن القبائل البربرية ذات الأصول العريقة في المنطقة أبرزها قبائل حاحة[١٦٩]، ورجراجة[١٧٠]، ومصمودة[١٧١] تاركاً بينهم مِن يعلمهم أصول الإسلام[١٧٢]، إلاّ أنّ ابن خلدون[١٧٣]، يذكر أنّ المصامدة فرضوا حصاراً على عقبة في منطقتهم فهبت قبائل زناتة[١٧٤] لنجدته وفك الحصار عنه، وحينما وصل عقبة الى موقع طبنه التي تبعد عن القيروان نحوا مِن (٣٠٠) كم، ترك لجنوده حرية العودة الى ديارهم بالقيروان، ولم يبقى معه سوى بضعة آلاف، وقيل أنهم كانوا خمسة آلاف فقط[١٧٥]، ويعود قرار عقبة هذا لمجموعة أسباب منها القرب مِن قاعدة أفريقية (القيروان)، وكذلك الثقة بما نال مِن النصر على العدو، فضلاً عن طول المدة التي قضاها المقاتلون في هذه الحملة، فصرف معظمهم للحاق بمنازلهم وعيالهم؛ بسبب ما قام به كسيلة الأوربي بعد أنّ تمكن مِن الهرب، اذ طمر آبار المياه على طول الطريق السالكة الى القيروان، مما دعا عقبة الى اِتخاذه طريق يتميز بقلة المياه ولا يكفي لإرواء القوات مجتمعة، وربما يكون هذا السبب؛ قد أضر بالجيش وتسبب بحالات من الأعياء والأصابات[١٧٦].

يبدو أن عقبة بن نافع أستعجل في أتخاذ قرار الاستمرار بملاحقة فلول الروم وقد عول على المقاتلين الذين معه على إتمام ما بقي مِن المدن والحصون التي تفتح، لأن هروب كسيلة[١٧٧] زعيم قبيلة أوربة الذي كان يكره عقبة ويعارضه، قد سنحت له الفرصة للاتصال مع الروم بتهودة[١٧٨] التي كانت ضمن أطار وخطط القائد عقبة في التوسع الاسلامي، وفي الوقت نفسه جمع معظم أبناء قبيلة أوربة، واستطاع بحنكته أنّ يباغت عقبة بتهودة[١٧٩]، وعلى الرغم مِن أنّ الأخير علم بعدم وجود التكافؤ بين تلك القوات التي استبقاها معه وبين قوات كسيلة، فانّه أصر على مواجهة الواقع بشجاعة نادرة، وفضل ذلك على الهزيمة، فأمر جنوده بالنزول عن خيولهم وكسروا أغماد سيوفهم تعبيراً عن الصمود حتى النهاية، وهكذا تصدى الروم وحلفائهم لعقبة وجيشه، وأسفر اللقاء عن هزيمة غير متوقعة لجيش المسلمين الذين قتلوا عن آخرهم بما في ذلك عقبة وأبو المهاجر دينار الذي كان عقبة قد سجنه بعد تسلمه الولاية الثانية لأفريقية، اذ خيره عقبة بالرحيل بعد أنّ فك اغلال سجنه، إلاّ انّه أبى إلاّ القتال بجنبه، حتى نال الشهادة معه وأصحابه الذين سميت مقبرتهم "مقبرة الشهداء" وأصبحت المنطقة كلها باسم "سيدي عقبة" عوضاً عن تهودة[١٨٠].

أن العديد مِن القرارات العسكرية والاندفاعية كانت مِن دون تخطيط أو استشارة مما أدتّ إلى وقوع تلك الهزيمة في موقعه تهودة، كذلك لم يكن القائد عقبة مدركا لتأثير القيادة البربرية للقائدة كسيلة بن لمزم البربري الذي أسلم لما ولي أبو المهاجر أفريقية وحسن إسلامه، وهو مِن أكابر البربر وأبعدهم صوتا، وصحب أبا المهاجر، فلما ولي عقبة عرفه بمكانة كسيلة وأمره بحفظها فلم يقبل واستخف به، وأتى عقبة بغنم فأمر كسيلة بذبحها وسلخها مع السلاخين، فقال كسيلة: هؤلاء فتياني وغلماني يكفونني المئونة، فشتمه وأمره بسلخها، ففعل، فقبح أبو المهاجر هذا عند عقبة، فلم يرجع، فقال له: أوثق الرجل فإني أخاف عليك منه! فتهاون به عقبة،

فأضمر كسيلة الغدر، فلما حانت الفرصة ورأى الروم قلة الانصار مع عقبة أرسلوا إلى كسيلة وأعلموه حاله، وكان في عسكر عقبة مضمرا للغدر، وقد أعلم الروم ذلك وأطمعهم(١٨١).

ذكر أنّ كسيلة هذا زعيم أوربة كان يتصرف كأمير مِن الأمراء، حتى أنّ أبا المهاجر قد نصح عقبة مِن قبل عندما أراد النهوض الى طنجة بقوله: "**ليس بطنجة عدو لك لأن الناس قد أسلموا، وهذا رئيس البلاد ـ يعني كسيلة ـ فابعث معه والياً، فأبى عقبة إلاّ أنّ يخرج بنفسه**"(١٨٢)، وضيق عقبة على كسيلة فأجبره على القيام بأعمال لا تليق بمركزه كزعيم للقبيلة، مع اجماع الروايات على عدم استحكام الإسلام في قلبه(١٨٣)، مما يظهر ذلك أنّ القرارات الفردية التي اتخذها عقبة بن نافع أدتّ الى نتائج سلبية اهمها استشهاد القائدين وتراجع القوة الاسلامية .

أن استشهاد عقبة بن نافع، وأبي المهاجر دينار أثرت في نفوس المسلمين؛ لأنهم من اوائل القادة الذين استشهدوا في بلاد المغرب، وكان لذلك تأثير سلبي على معنويات الجند المرابطين في مدينة القيروان، اذ لم يتمكن الوالي زهير بن قيس البلوي مِن معالجة الأوضاع فيها، والصمود في الدفاع عن القيروان، لذلك انسحب الى مدينة برقة، أمّا كسيلة تمكن بدون صعوبة في دخول مدينة القيروان في سنة (٦٤هـ/٦٨٤م) فأمن مِن بقي فيها مِن المسلمين، وظل أميراً على القيروان وما يحيط بها مدة تقرب من خمس سنوات(١٨٤).

يتّضح مِن تطورات الأحداث بعد استشهاد القائدين عقبة بن نافع وأبي المهاجر دينار أنّ القرار العسكري الإسلامي في بلاد المغرب في تلك الحقبة اتّسم بضعف واضح في التخطيط الاستراتيجي والتعامل مع المستجدات الميدانية، وهو ما انعكس على تراجع القدرة القيادية لوالي القيروان زهير بن قيس البلوي، وعدم تمكنه مِن تعبئة الجند ورفع معنوياتهم ، وهذا يكشف عن وجود خلل بنيوي في منظومة اتخاذ القرار العسكري، لا سيما في حالات الطوارئ والفراغ القيادي الناتج عن فقدان رموز ميدانية مؤثرة، في المقابل أظهر كسيلة قدرة فاعلة على استغلال الفرصة السياسية والعسكرية، إذ اتّسم قراره بالسرعة والحسم، مستفيدًا مِن التشتت المعنوي والانكفاء العسكري للخصم من خلال نجاحه في دخول القيروان دون مقاومة واستمراره حاكماً عليها نحو خمس سنوات كما ذكرنا، مما يعكس نضجاً في أدوات اتخاذ القرار الحربي لدى القوى المحلية المناوئة، وقدرتها على فرض واقع سياسي وعسكري جديد في غياب ردّ فاعل منظّم مِن الطرف المقابل.

ويمكن القول أنّ صناعة القرار العسكري في بلاد المغرب في تلك الفترة كانت مرهونة بعوامل معنوية وبُنى قيادية هشّة أكثر مِن كونها محكومة بمبادئ الاستراتيجية العسكرية الرصينة وتوثيق الاستقرار والانسجام مع السكان المحليين، وهو ما سمح لقوى محلية كالبربر بقيادة كسيلة بإعادة تشكيل موازين القوى مؤقتاً في الإقليم.

كانت أوضاع الخلافة في دمشق تمر بظروف عصيبة أبعدت الخلفاء عن مشكلات المغرب وهمومه في تلك المدة من خلال الاهتمام في اختيار قائد ووالي عسكري يستطيع أنّ يحقق نتائج الخطط العسكرية للقيادة الإسلامية وصار التوجه نحو قيس بن زهير البلوي الذي خلف القائد عقبة بن نافع في مدينة برقة بعد استشهاده، وبعد أنّ جاء الاختيار من خلال الاتفاق مع رأي المسلمين حيث سئل الخليفة عبد الملك بن مروان عن الشخصية التي تخلف عقبه فاختاروا زهيرا وهو مِن أشراف المجاهدين وحينها تم العمل بين الخلافة والقيادة

الجديدة نحو التخطيط و صناعة القرارات العسكرية الجديدة في مواجهة الروم وطردهم نهائيا مِن إفريقية وباقي المناطق التي توسع فيها المسلمون ، فضلا عن القضاء على زعيم قبيلة أوربة البرانسية كسيلة بن لمزم[١٨٥].

كان كسيلة معه أضعاف مما مع زهير مِن عدد مِن القوات، فدعا كسيلة أشراف البربر وقال لهم: "**أن رأيت أنّ أرحل عن هذه المدينة فأن بها قوماً مِن المسلمين، لهم علينا عهود ونحن نخاف أنّ أخذنا القتال معهم أنّ يكونوا علينا، ولكن ننزل على موضع ممس وهي على الماء، فأن عسكرنا خلق عظيم، فأن هزمناهم الى طرابلس قطعنا آثارهم، فيكون لنا المغرب الى آخر الدهر، وإن هزمونا، كان الجبل منا قريباً والشعراء فنتحصن بهما**"[١٨٦].

بدا القائد الجديد زهير بن قيس البلوي بالعمل وفق القرارات المتخذة من خلال الاستعداد العسكري بقوات كبيرة مِن المسلمين زحفت إلى القيروان وتقابلت مع قوات كسيله ومن معه مِن الروم والبربر في ممس أحد نواحي مدينة القيروان، فالتحم الفريقان في معركة حامية تجلت عن الحاق الهزيمة بالقوات الرومية والبربر وقتل فيها كسيلة ومضى المسلمون بمطاردة الروم والبربر، وجدوا في طلبهم إلى وادي ملوية وواد طنجة بالمغرب واستمرت العمليات الاسلامية حتى بلغت فتح مدينة تونس وفي هذه الوقعة ذل البربر وفنيت فرسانهم ورجالهم وفزع أهل أفريقية فلجأوا إلى الحصون والقلاع واضمحل شأن الروم فلم يعد لهم شأن كبير[١٨٧].

وهذا الاقتحام يُظهر نجاح القرار العسكري الذي تم بقيادة حكيمة بعد أنّ بلغ الخليفة عبد الملك بن مروان أنّ سياسته في الحملات العسكرية في أفريقية بتأكيد تعيين القائد زهير بن قيس البلوي والياً على أفريقية، وأمره بضرورة الدخول فوراً لإنقاذ مِن بقي مِن المسلمين واراضيهم، وأمده بالرجال والأموال والخيول مِن مصر، وجعل في مساعدته مجموعة مِن رجال الحرب، وحشد إليه وجوه العرب وبعثهم إليه، فوفدت الجيوش على زهير، وتسارع الناس معه الى أفريقية[١٨٨].

يبدو إنَ الانتصار الإسلامي لم يكن حاسماً من ناحية أضعاف اروم والقوات المتحالفة، الأمر الذي دفع القائد زهير بإتخاذ قرار العودة سريعاً بإتجاه مصر مما يؤكد ذلك وقوع هجوم رومي على مدينة برقة يستدعي الرجوع والمواجهة السريعة لذلك [١٨٩].

انَ المواجهات العسكرية المفاجأة كانت مستمرة في بلاد المغرب بحكم وجود أسلوب المباغته وهذا ما حدث مرة أخرى في درنة[١٩٠] عندما حوصرت القوات الاسلامية هناك الأمر الذ دفع القائد زهير بن قيس البلوي بالزحف سريعاً بما لديه من قوات قليلة لخوض المعركة في لقاء غير متكافئ في منطقة درنة إذ كانت النتيجة هزيمة المسلمين واستشهادهم جميعاً، وصار ما عندهم مِن سلاح وخيول وامتعة غنيمة سائغة للروم الذين أبحروا بعد هذا النصر الى جزيرة صقلية[١٩١]، وسميت المنطقة التي استشهدوا فيها في مدينة درنة باسم "قبور الشهداء"[١٩٢]، وهذا الفشل العسكري يعود الى التسرع في القرارات من خلال اتخاذها بشكل فردي من دون تخطيط أو معرفة.

أمّا بقية الجيش الذين لم يشتركوا في المعركة نتيجة لبعدهم عن ميدانها فقد وصلوا دمشق ورووا للخليفة عبد الملك بن مروان ما وقع لزهير ومن معه من المسلمين، فتأثر تأثراً عميقاً لهذه

النتيجة المحزنة التي تشبه في هولها وشدتها كارثة "تهودة" مِن قبل، ورغبوا فيه إلاّ ينحني أمام الروم وحلفائهم ويترك أفريقية نهباً مقسماً بينهم، ويفرط في الحقوق الثابتة التي حصل العرب بجهودهم ودمائهم وطالبوا في النهاية أنّ يرسل إليها مِن يسد ثغرها ويصلح أمرها، فأرسل حسان بن النعمان[١٩٣]، وقال: "**لا أرى أحداً كفوءاً لأفريقية كحسان بن النعمان**"[١٩٤].

ويرى أحد الباحثين أن هناك العديد من الهزائم العسكرية قد حدثت لإسباب تتعلق بالتسرع في أتخاذ القرارات من دون تحليل المتغيرات المتعلقة بذلك من حيث الوقوف على شخصية القائد ومعالجاته المختلفة في كافة الميادين فضلاً عن قراءة ظروف الحملة وأسلوب المواجهات المتغير ميدانياً مما ينعكس على النتائج والحسم العسكري [١٩٥] الامر الذي يظهر إن صناعة القرار العسكري خضعت للعديد من العوامل الداخلية والخارجية، التي تشمل القيادة من حيث المشورة بين الخليفة والقائد [١٩٦] .

بدا العمل على ازالة اثر هاتين الهزيمتين من خلال التخطيط لاعادة المواجهة ولذلك اهتم الخليفة عبد الملك بن مروان اهتماماً عظيماً بأمر القوات الزاحفة الى أفريقية حيث جهز جيشاً كبيراً بقيادة حسان بن النعمان الغساني وسيرهم إليها في سنة (٧٤هـ) وقد وصف هذا الجيش بانه عظيم العدد بحيث لم تشهد افريقية مثله في السابق [١٩٧].

لم يكن اختيار شخصية حسان من دون دراسة للموقف في افريقية او معرفة الصفات الشخصية له [١٩٨]، اذ كان من قادة الشام المشهورين ومِن سلالة ملوك الغساسنة ومن اكثر الرجال قرباً واخلاصاً [١٩٩]، ومهما يكن فان الظروف الاستثنائية الصعبة بعد أنّ استشهد عقبة في تهودة وزهير في درنة جعلت الخلافة تنتبه لخطورة الموقف في أفريقية والناجم عن تحالف القبائل البرانسية والروم، ووجوب استعادة هيبة الخلافة الذي لا يتم إلاّ بتصفية النفوذ البيزنطي وتحطيم قوة الروم واحتلال قاعدة قرطاجنة، والقضاء على عنصر المقاومة المحلية المتمثل في حركة القبائل البتر بقيادة زعيمتهم الكاهنة داهية[٢٠٠] الامر الذي تم التخطيط له من قبل الخلافة ايام عبد الملك بن مروان اذ امر القائد حسان بالتوجه الى مصر والعمل على تجميع قواته وتنظيمها واطلق يده في اموالها وتغطية اعطيات الجند وتلبية حاجاتهم ومتطلباتهم واستخدم حسان سياسة خاصة لزيادة اعداد المقاتلين مِن حيث بذل الأموال وترغيبهم في القتال[٢٠١].نتيجة لما سبق تم اشراك المشارقة والمغاربة في المهمة العسكرية الكبيرة[٢٠٢] .

عمل القائد حسان الغساني من حيث التخطيط للمواجهة بوضع ستراتيجية ذكية تقوم على مواهجهة الروم وحلفائهم اولا حيث قرر أنّ يقاتلهم منفردين لا مجتمعين حتى يسهل القضاء عليهم واحداً بعد الاخر وبهذا كان هدفه الاول هي قرطاجنه[٢٠٣]، لكونها قاعدة لاعظم مدن أفريقية البيزنطية على البحر المتوسط حيث استطاع حسان السيطرة عليها بعد استسلام اهلها، وبعد هذا الانتصار قرر حسان الرجوع الى القيروان ليستريح فيها ويعيد تنظيم جيشه[٢٠٤].

اتجهت القوات بعد ذلك نحو القضاء على الكاهنة داهية حيث عول المسلمون على هزيمتها لتحرير أفريقية وحينها بدا الزحف مِن القيروان بقيادة القائد حسان وعند سماع الكاهنة بهذا الخبر قامت

بالانتقال مِن منطقة اوراس الى مدينة باغاية وهدمتها حتى لا يتحصن فيها المسلمون الا ان المواجهة حدثت عند (نهر البلاء) في معركة كبيرة انتهت بهزيمة القوات الاسلامية بقيادة حسان ووقع عدد كبير مِن جنده اسارى لدى البربر وقد سميت تلك المعركة بمعركة (وادي العذارى) [٢٠٥] وعلى اثر هذه المعركة قام حسان بالانسحاب الى برقة بأمر مِن الخليفة عبد الملك بن مروان[٢٠٦] .

يبدو ان قرار المواجهة الاولى غير محسوب بشكل دقيق وربما لم يكن للقيادة تصور كامل عن قدرة الكاهنة وامكاناتها العسكرية الامر الذي ادى الى وقوع تلك الهزيمة وانسحاب القوات كما بينا الى قصور قديمة تقع بالقرب من برقة التي اصبحت تعرف فيما بعد بـ(قصور حسان) حيث بقى هناك خمس سنوات ينظم صفوف جيشه ويراقب الأوضاع والاحداث في أفريقية وينتظر اذناً مِن الخليفة عبد الملك بن مروان بالتحرك مرة اخرى للمواجهة الحاسمة[٢٠٧]. مما يظهر ان صناعة قرار المواجهة يتطلب كل تلك المدة والاستعدادات لغرض حساب المعركة بشكل دقيق والوصول الى الوقت المناسب لاتخاذ القرار .

يبدو ان الكاهنة كانت تخشى الزحف الاسلامي كثيرا الامر الذي دفعها الى اتباع سياسة جديدة في المواجهة اذ قامت بحرق المزارع وتخريب العمران وقطع الاشجار بقصد منع القوات الزاحفة مِن استغلالها[٢٠٨]، وفي تلك الاثناء تم اتخاذ قرار المواجهة بعد التشاور مع الخلافة وتوفر العديد من العوامل المساعدة منها : أنّ نفوس القبائل قد تغيرت تجاه الكاهنة حيث اخذوا يكرهونها حتى أنّ فريقاً منهم قدموا الى برقة يستغيثون بحسان وذلك بسبب سياسة الكاهنة داهية المعروفة بسياسة (الارض المحروقة)، فضلا عن وصول الامدادات اليه مِن الخلافة في المشرق وقد ساعدته كثيراً، ناهيك عن تنظيم اوضاع افريقية الداخلية حيث صالح أهل مدينة قابس ودانت له المدن قفصة [٢٠٩]وقسطيلية[٢١٠] ونفزاوة من دون حرب، الامر الذي دفع الخلافة والقائد حسان باتخاذ قرار التخلص مِن الكاهنة داهية والشروع بالحرب عليها وبالفعل التحم الجيشان فكانت نتيجة المعركة انهزام الكاهنة ومقتلها[٢١١].

بعد الانتصار الكبير الذي حققته الجيوش الاسلامية على القوات البربرية بقيادة الكاهنة تم عزل القائد حسان بن النعمان وتولية القائد موسى بن نصير على أفريقية حيث شهدت هذه المدة بداية جديدة في التخطيط السياسي والعسكري من حيث الاعداد والمواجهة [٢١٢] .

أنّ نجاح الحملات العسكرية التي قادها موسى لم يكن وليد الصدفة، بل جاء نتيجة لتخطيط استراتيجي دقيق يقوم على اتخاذ قرارات مصيرية مدروسة، تضمّن اختيار القادة المناسبين، وتوزيع المهام بدقة، وتحليل العوامل الميدانية والسياسية التي تؤثر على سير المعارك، فكان مِن أبرز القرارات التي اتخذها موسى بن نصير هو إخضاع القبائل التي ما تزال خارج نطاق السلطة المركزية وتمثل تهديدا لاستقرار الدولة الإسلامية في المغرب بسبب تمردها وارتدادها عن الطاعة، ولتحقيق هذا الهدف، أرسل موسى عدة حملات عسكرية بقيادة

قادة ميدانيين أكفاء، مِن بينهم حملة عبد الملك الخشني[٢١٣] التي قضت على التمرد في قلعة زغوان[٢١٤]، وحملة ابنه عبدالله في نواحي القيروان بدعم مِن أخيه مروان، كما قاد بنفسه حملة حاسمة على مدينة طنجة التي تمكن مِن تحريرها بعد حصار شديد، ما مكنه مِن توسيع النفوذ الإسلامي وربط القبائل المحلية بالحكم المركزي[٢١٥] .

تعكس هذه العمليات العسكرية مدى اهمية صناعة القرار في ولاية موسى بن نصير، التي لم تكن تقتصر على الجانب القتالي فقط، بل شملت أيضا الجانب السياسي لضمان استقرار المنطقة وتوحيدها تحت راية الإسلام[٢١٦] .

يظهر من السابق الدور السياسي والعسكري الكبير الذي لعبته الخلافة الاموية في وضع الخطط المناسبة بالتشاور مع الولاة والقادة في اغلب الحملات العسكرية ، مع وجود حملات اخرى جرت باجتهاد فردي واضح الامر الذي انعكس في النتائج السلبية من خلال هزيمتي تهودة ودرنة كما بينا فضلا عن ذلك لابد من الاشارة الى منهج صناعة القرار في العصر الاموي والقائم على ضرورة استقرار الوضع الداخلي في المشرق قبل البدء في الحملات التوسعية بالإضافة الى ضرورة توفير الامكانيات المادية والعسكرية من تحشيد المقاتلين وتوفير العدة المناسبة ومعرفة جغرافية المنطقة وقدرات القوات المواجهة للمسلمين من خلال كسب السكان المحليين سياسيا واشراكهم في تلك الحملات اسوة بالعرب والمسلمين .

---

(١) حسين، الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا، ص١٣٣؛ عبد الحليم، الجغرافيا السياسية للفتوحات الإسلامية، ص٩٢.

(٢) برقة مدينة تقع في شمالي إفريقيا، كانت تُعد من أعمال إفريقية، وتمتاز بموقعها الساحلي بين مصر وطرابلس، مما منحها أهمية استراتيجية في الطرق التجارية والعسكرية، ولها حصون ومزارع، وكانت من قبل للروم ففتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٩٤؛ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص١٤٢.

(٣) صورة الارض، ص٦٤.

(٤) سبتة مدينة ذات موقع متميز، تقع على ساحل البحر المتوسط مقابل مضيق جبل طارق، وكانت تعد بوابة العبور من المغرب إلى الأندلس، وهي مدينة حصينة على ضفة بحر الزقاق، فيها مرسى حسن، وهي من بلاد المغرب، قريبة من الأندلس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٣٤.

(٥) مدينة ذات حصون وأبواب، تقع على البحر، وهي من بلاد المغرب، يشتهر أهلها بالتجارة والصيد، عامرة، فيها أسواق وجوامع، وموقعها استراتيجي على مفترق طرق بين إفريقيا وأوروبا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢١٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص١٦٠.

(٦) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص١٩٠٦.

(٧) السوس الاقصى تقع في جنوب المغرب الأقصى، وتتميز بتضاريس جبلية وساحلية تجمع بين السهول والجبال، وهي منطقة ذات أهمية تاريخية واقتصادية، حيث كانت موطنًا لقبائل أمازيغية معروفة، ومركزًا للزراعة والصيد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٥٠.

(٨) جزيرة عظيمة من جزر البحر، عليها مدن كثيرة وأسواق عامرة، وكانت مهد الفتوحات الإسلامية في البحر المتوسط. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٢٠.

(٩) كتاب البلدان، ص٣٠٣.

(١٠) معجم البلدان، ج١، ص٣٢٨.

(١١) المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص٣٤٩.

(١٢) مدينة على ساحل البحر، من أعمال إفريقية، حصينة، وبها أسواق وموانئ، وقد شهدت فتح المسلمين في العهد الأموي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣١٠.

(١٣) ابن عذاري، البيان الغرب ،ج١، ص٥.

(١٤) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص٢٠.

(١٥) مدينة عظيمة في إفريقية، بنيت في زمن الصحابة، وهي مركز العلم والدين، وبها أسواق وحصون، وكانت قاعدة للفتوحات في المغرب الأقصى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤١٠.

(١٦) الأغالبة سلالة عربية حكمت إفريقية، تونس الحالية وأجزاء من الجزائر وليبيا، في الفترة ما بين (١٨٤هـ/٨٠٠م و٢٩٦هـ/٩٠٩م)، وكانت دولتهم تحت التبعية الاسمية للخلافة العباسية، مع استقلال فعلي في الشؤون الإدارية والعسكرية. أسس دولتهم إبراهيم بن الأغلب بعد أن ولاه الخليفة هارون الرشيد على إفريقية، فأسس إمارة مستقرة اتخذت من القيروان عاصمة لها، وأسهمت في صد الثورات الداخلية، وتنشيط التجارة، ونشر العمران، كما لعبت دورا مهما في الفتوحات، لا سيما في فتح صقلية الذي بدأ عام (٢١٢هـ/٨٢٧م) بقيادة أسد بن الفرات. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٢٠.

(١٧) المهديون هم أتباع الدعوة الفاطمية الإسماعيلية التي ظهرت في المغرب الأقصى أواخر القرن الثالث الهجري، وكان مؤسسها عبيد الله المهدي، أول الخلفاء الفاطميين، الذي أعلن نفسه إمامًا مهدويًا من نسل فاطمة الزهراء (عليها السلام). وقد نجحت دعوته السرية التي انطلقت من بلاد المشرق في الوصول إلى قبائل كتامة في المغرب، حتى تمكّن من تأسيس الدولة الفاطمية سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م)، واتخذ من مدينة المهدية في إفريقية عاصمة له، وقد جمع المهدي في دعوته بين البُعد المهدوي العقائدي عند الشيعة الإسماعيلية وبين المشروع السياسي، فظهرت دولته كبديل عن الخلافة العباسية السنية المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٤٧؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٦٠.

(١٨) العبيديون هو الاسم الذي أطلقه خصوم الفاطميين على مؤسسي الدولة الفاطمية، نسبة إلى مؤسسها عبيد الله بن الحسين المهدي (توفي٣٢٢هـ/٩٣٤م)، وذلك طعناً في نسبه الفاطمي. فقد ادّعى الفاطميون أنهم من نسل فاطمة الزهراء (عليها السلام)، بينما رأى المؤرخون السنيون أن عبيد الله ليس من آل البيت، وإنما هو رجل من أهل سلمية بالشام، نشأ ضمن الدعوة الإسماعيلية السرية، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى، حيث أسس دولته بعد استقطاب قبائل كتامة سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م)، واتخذ لقب المهدي بالله، وقد أسس مدينة المهدية في إفريقية، ومنها انطلقت الدولة الفاطمية لتغزو مصر لاحقاً سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٥١.

(١٩) الحفصيون سلالة أمازيغية من أصل موحدي، أسّست دولة في إفريقية، بعد ضعف الدولة الموحدية، واستقلوا رسميا سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٨م) بقيادة أبي زكريا يحيى الحفصي، الذي كان واليا على تونس من قبل الموحدين، ثم أعلن استقلاله واتخذ لقب السلطان. تنسب السلالة إلى أبي حفص عمر الهنتاتي، أحد قادة الموحدين المقربين من المهدي بن تومرت أصبحت تونس في عهدهم مركزا حضاريا وتجاريا مهما في المغرب الإسلامي، وتميّزت الدولة الحفصية بسياسة التوازن بين القوى المسيحية في البحر المتوسط والدولة المرينية في المغرب. ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٦، ص١٨٩؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٨٩.

(٢٠) السلاوي، الاستقصاء، ص٧١.

(٢١) بجاية: من أعظم مدن المغرب الأوسط، كثيرة الخصب والماء، وأهلها ذوو فصاحة وعلم، دينة حسنة على ساحل البحر من بلاد المغرب، عامرة، ذات أسواق وتجارات، ومنها يُحمل الشمع إلى سائر البلاد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٢٤.

(٢٢) هو وادٍ في المغرب، فيه قرى كثيرة، ويعرف بنهر ملوية، يجري من جبال الأطلس حتى البحر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٠٢.

(٢٣) تِلِمْسان: مدينة كبيرة من أعمال المغرب، كثيرة المياه، واسعة العمارة، قديمة، وهي على طرف البرّ من جهة الغرب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٩.

(٢٤) العتيبي والعامري، تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، ص٣٧-٣٨.

(٢٥) أسفي مدينة في أقصى المغرب، على البحر، عامرة، ذات خصب وخير كثير. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٤٣.

(٢٦) ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٦، ص١٢٢.

(٢٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣١٤.

(٢٨) ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٤، ص٢٥٥.

([٢٩]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٢٥٦.

([٣٠]) سعودي، الوطن العربي، ص٥٠٤-٥٠٨.

([٣١]) سورة الأنفال ، الآية ٣٩ .

([٣٢]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص٢٦٣.

([٣٣]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص١٦١.

([٣٤])هو عُقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظَفَر الفِهري القُرشي، وُلد في مكة المكرمة في أوائل القرن الأول الهجري، ويُعد من أبرز قادة الفتح الإسلامي في شمال إفريقيا في عهد الدولة الأموية. تولّى قيادة الجيوش الإسلامية في إفريقية، وأسس مدينة القيروان سنة (٥٠هـ)، لتكون قاعدة عسكرية ودينية للمسلمين، قام بعدة حملات لتثبيت الإسلام في المغرب الأوسط والأقصى، وواجه مقاومة من بعض القبائل البربرية المتحالفة مع الروم استُشهد سنة (٦٣هـ/٦٨٢م) في معركة بمنطقة تُعرف بـ "تهوذة". ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٨٢.

([٣٤]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٤.

([٣٤]) منطقة عامرة، قريبة من الموضع الذي أُسست فيه مدينة القيروان لاحقاً وقد دخلها المسلمون بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح خلال حملته على إفريقية سنة (٢٧هـ)، ومنها انطلقت المعارك ضد الروم بقيادة جرجير، حاكم سبيطلة، وكان لها دور في التمهيد لتأسيس قاعدة عسكرية دائمة للمسلمين، هي مدينة القيروان، التي أسسها فيما بعد القائد عقبة بن نافع سنة (٥٠هـ) في نفس الإقليم. البكري، المسالك والممالك، ص١٧٤.

([٣٥]) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج٦، ص١١٨.

([٣٦]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص١٦٨.

([٣٧]) تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص١١٧.

([٣٨]) الكامل في التاريخ،ج٤، ص٢٠٢.

([٣٩]) فتوح البلدان، ص٢٣١.

([٤٠]) محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص١١.

([٤١]) لُوبِيَةُ:بالضم ثم السكون، وباء موحدة، وياء مثناة من تحت: مدينة بين الإسكندرية وبرقة، ينسب إليها لوبيّ، وقال أبو الريحان البيروتي: كان اليونانيون يقسمون المعمورة بأقسام ثلاثة تصير أرض مصر مجتمعا لها فما مال عنها وعن بحر الروم نحو الجنوب فاسمه لوبية ويحدها بحر أوقيانوس المحيط الأخضر من جانب المغرب وبحر مصر من جهة الشمال وبحر الحبش من جهة الجنوب وخليج القلزم وهو بحر سوف أي البردي من جانب المشرق وهذا كله يسمى لوبية، والقسم الآخر اسمه أورقي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٥.

([٤٢]) البلاذري، فتوح البلدان،ج٣، ص٢٦.

([٤٣]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٢٢٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٢٥.

([٤٤]) سرت: موضع من مواضع برقة، وهو بحر في وسط البلاد يقال له خليج سرت، كان يعرفه القدماء من مواطن التجارة والملاحة، وكان موضعاً ذا شأن في أيام الرومان والبيزنطيين لما له من موقع على الساحل بين إفريقية ومصر، وقد استولى المسلمون عليه ضمن فتح برقة، فصار من الموانئ التي يسير إليها القوافل ويُتاجر فيها، وموقعًا يشد إليه النفوس، وسرت من الأماكن التي فتحت على يد المسلمين، وكانت لهم عونا وميناء يجددون فيه رجوعهم. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص١٩٨.

([٤٥]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٣٦.

([٤٦]) زغلول، تاريخ المغرب الإسلامي، ج١، ص١٤٣.

([٤٧]) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٨.

([٤٨]) ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب ، ص٣٣.

([٤٩]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٩.

([٥٠]) الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، ص٣٠.

(٥١) بسر بن أبي أرطأة كان من فرسان العرب وشجعانهم في صدر الإسلام، ونسبه يدل على أنه من قبيلة ذات مكانة بين العرب، شارك في غزوات وفتوحات إسلامية، وكان من المجاهدين الذين ثبتوا في ساحات القتال. الزبيري، نسب قريش، ص٤٣٩.

(٥٢) ابن أبي دينار، المؤنس في اخبار أفريقية وتونس، ص٢٦.

(٥٣) السامرائي، تاريخ المغرب العربي، ص٥٤.

(٥٤) موسى، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرب حتى انتهاء ثورات الخوارج، ص١٩.

(٥٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٣٣.

(٥٦) عبد الله بن نافع بن عبد القيس الأزدي البَصري، من أهل البصرة، وكان من القادة والوجهاء في الدولة الأموية، وُلّي على إفريقية في أيام عبد الملك بن مروان، وذلك بعد مقتل زهير بن قيس البلوي، وكان عبد الله بن نافع من سادات الأزد، وأصحاب البأس والنجدة، وله ذكر في قتال البربر والخوارج، وكان شديدا في أمره، قويَّ الشكيمة، لا تأخذه في الله لومة لائم، غير أن أمره لم يطل، فقتله صالح بن يزيد الخارجي سنة (٧٦هـ) تقريباً، بعد أن استولى على القيروان. أبن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٢٤٢.

(٥٧) عبد الله بن نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي، من رجال ثقيف، وكان من أصحاب الشرف والمكانة في قومه، وولي القضاء والقيادة، وكان على شرطة ابن الزبير، وله أثر في الحوادث التي جرت بعد مقتل الحسين بن علي (ﷺ)، وقد عُرف بالحزم والشدة. ويُذكر أنه كان ممن نُسِب إليهم الوَلاَء للبيت الأموي في بعض أطوار حياته، وقيل إنه ولي شرطة الحجاج بن يوسف الثقفي بعد قدومه العراق، وكان من القُساة في تنفيذ الأوامر، وله مواقف في تعقب أصحاب ابن الأشعث والثوار. أبن سعد، لطبقات الكبرى،ج٥ ،ص٢٨٥.

(٥٨) محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص٣٧.

(٥٩) سالم، تاريخ المغرب الكبير، ج٢، ص١٥٢.

(٦٠) الفُسطاط، دارُ مُلكٍ ومصرٌ من أمصار المسلمين بأرض مصر، ابتناها عمرو بن العاص لما افتتح مصر في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وذلك بعد واقعة عين شمس، فلما أراد عمرو الرحيل إلى الإسكندرية لضرب الروم، أمر بنصب فسطاطه عند موضعٍ من الأرض، فلما فتح الله عليه الإسكندرية، رجع فوجده قائماً كما تركه، فقال: "هذا موضع الفُسطاط"، فاختطّ المدينة وبنى فيها المسجد الجامع، فسُميت المدينة كلّها بـ "الفُسطاط"، فكانت أول مدينة إسلامية تُبنى في مصر، ومنها انتشر الإسلام إلى سائر البلاد. البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص٣١٧.

(٦١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٢٤.

(٦٢) قبيلة لواتة من كبريات القبائل البربرية ذات الامتداد الواسع في شمال أفريقيا، وقد نسبها النسّابون إلى لَوَات بن حمير على ما يذكره الإخباريون، وقد استوطنت لواتة منذ عصور مبكرة المناطق الممتدة من برقة إلى مشارف الإسكندرية، وانتشرت بطونها في برقة، وصحراء مصر الغربية، وصولًا إلى بلاد المغرب، قد لعبت لواتة دورًا عسكريًا وتجاريا مهما، مستفيدة من موقعها الجغرافي الرابط بين مصر والمغرب، كما ساهمت في الحركات السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة منذ الفتح الإسلامي وحتى العصور اللاحقة. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٤٤.

(٦٣) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٩.

(٦٤) المسور بن مخرمة هو صحابي جليل من بني زهرة القرشي، ولد في مكة سنة ٢ هـ، وهاجر إلى المدينة مع أسرته في ذي الحجة سنة ٨ هـ، أدرك النبي محمد وهو صغير، وشارك في الفتوحات الإسلامية، خاصة معركة القادسية. بعد مقتل عثمان بن عفان انحاز إلى عبد الله بن الزبير، وقاتل معه حتى استُشهد في حصار مكة سنة ٦٤هـ.الذهبي ،سير أعلام النبلاء، ج٣،ص١٢٣.

(٦٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٢٦.

(٦٦) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٩.

(٦٧) يُطلق لقب العبادلة في التراث الإسلامي على أربعة من كبار الصحابة، اشتهروا بكثرة روايتهم للحديث، وعمق علمهم، وهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص. وقد لعب هؤلاء دوراً بارزاً في نقل السنة النبوية والفتوى بعد وفاة النبي محمد ()، حتى عُرفوا بـ "العبادلة الأربعة"، ويُجمع علماء الحديث على أن هؤلاء الصحابة تميزوا بالضبط والرواية. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٣١.

(٦٨) الدباغ، معاني الإيمان، ج١، ص٣٣.

([٦٩]) بلال بن الحارث بن سِمَّة المزني، من أصحاب رسول الله (□)، وكان من العابدين الزاهدين، شهد مع النبي (□) بعض المشاهد، وبعثه على الصدقات، وله رواية عن رسول الله (□)، وكان فقيهًا فاضلًا، دخل على النبي (□) يشكو إليه القحط، فدعا له بالغيث فاستُجيب له، وكان من أهل المدينة، ومات بها في حدود سنة (٦٠هـ). أبن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٣٠٦.

([٧٠]) جهينة: قبيلة عظيمة من قبائل قُضاعة، نسبُها إلى جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، وهم من العرب القحطانية على القول المشهور في قضاعة، وقيل من العدنانية. كانت منازلهم في الجاهلية بين المدينة إلى جهة الشام، وكانوا أهل نجدة وبأس، وفيهم عدد من الصحابة والفرسان. قال ابن حزم الأندلسي في جمهرة أنساب العرب: ومن بني قضاعة: بنو جهينة، وهم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، وكانوا يسكنون نواحي المدينة، ولهم عدد وشوكة. أبن حجر، جمهرة أنساب العرب، ص٤٧٨.

([٧١]) بنو سُليم، وهم بنو سُليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، وكانوا بالحجاز، ثم دخلوا إفريقية مع الفتح، وانتشروا بها، ولهم عدد وبأس شديد، وكان بنو سُليم من أشد قبائل العرب بأسا، وكان دخولهم إلى إفريقية في الدولة الفاطمية، واستقر أكثرهم ببرقة وصحراء تونس، وانتشروا في الأرياف والبوادي. أبن حجر، جمهرة أنساب العرب، ص ٣١٩؛ ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٦، ص٣٦.

([٧٢]) أسْلَم، قبيلة عربية معروفة، تنتسب إلى أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي، وقيل هم من خزاعة، وهم من القبائل القريبة من النبي (□)، وكان لهم وفود في الإسلام، ومواقف في الجهاد. نزلوا المدينة وما حولها، وكان منهم رجالٌ صالحون، وقد دخل كثير منهم في الإسلام مبكرًا، وبايعوا النبي (□)، وشاركوا في الغزوات. أبن حجر، جمهرة أنساب العرب، ص٣٦٩.

([٧٣]) تنتسب إلى غِفار بن مُلَيْل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فهي من قبائل كنانة العدنانية، وكانت منازلهم بين مكة والمدينة، قريباً من طريق القوافل، وكانوا يُعرفون بالنجدة والشدة، وبعضهم كانوا يتعرضون للقوافل قبل الإسلام، فلما دخلوا في الإسلام صاروا من خيرة المسلمين. وقد وفدوا إلى النبي (□)، فأسلموا، وكان فيهم الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري. أبن حجر، جمهرة أنساب العرب، ص٣٦٤.

([٧٤]) غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان، منهم عبس وذبيان وأشجع، وكانت لهم دارٌ واسعة ونفوذٌ قوي، ولهم شرف وكرم في الجاهلية، وأسلم كثير منهم بعد الحديبية. أبن حجر، جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص٣٢٦.

([٧٥]) التميمي، طبقات علماء افريقية والأندلس، ص٦٨–٧٠؛ المالكي، رياض النفوس، ج١، ص١٠؛ النصيري، الاستقصا، ج١، ص٨٦.

([٧٦]) من بطون كندة القحطانية، وهم بنو غنيّث بن مُعاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندة، وكانت لهم مساكن في أطراف حضرموت واليمن، ومنهم من انتقل إلى نجد والحجاز. وهم من القبائل اليمانية ذات الأصل النبيل، وكان فيهم فرسان ورجال ذوو بأس، وذكرهم أهل النسب من العرب، وإن قلّ ذكرهم في صدر الإسلام. أبن الكلبي. نسب معد واليمن الكبير، ص٢٤٣.

([٧٧]) من بطون كندة القحطانية، وهم بنو غنيّث بن مُعاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندة، وكانت لهم مساكن في أطراف حضرموت واليمن، ومنهم من انتقل إلى نجد والحجاز. وهم من القبائل اليمانية ذات الأصل النبيل، وكان فيهم فرسان ورجال ذوو بأس، وذكرهم أهل النسب من العرب، وإن قلّ ذكرهم في صدر الإسلام. أبن الكلبي. نسب معد واليمن الكبير، ص٢٤٣.

([٧٨]) مَيْدَعَان، قبيلة من قبائل حمير القحطانية، تُنسب إلى ميدعان بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن، من كهلان، وقيل: من ولد حمير بن سبأ. كانت منازلهم في اليمن، ولهم ذكر في أيّام العرب، وهم من أهل السيادة والعدد، وإن لم يكثر فيهم الصحابة ولا الرواة، إلا أن النسابين أثبتوا نسبهم في جمهور قبائل حمير. الهمداني، الاكليل، ج٢، ص١٨٧.

([٧٩]) المِقداد بن عمرو بن ثَعلبة بن مالك بن رِبيعة البَهراني الكِندي، حليف بني زهرة، يُكنى أبا مَعْبَد، ويُعرف بالمِقداد بن الأسود، لأنه تبنّاه في الجاهلية الأسود بن عبد يغوث الزهري، فنُسب إليه، حتى نزلت آية: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾. الأحزاب:٥، فرجع إلى نسبه الأصلي. كان من أول من أسلم، ومن السبّاقين إلى الإيمان، شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله (□)، وكان فارساً شجاعاً، لا يُشق له غبار، وقال فيه النبي (□)، "ما بقي أحدٌ من أصحابي أُحبّ أن ألقى الله بصحيفته إلا المِقداد". وكان من أهل الفضل، توفي سنة (٣٣هـ) في خلافة عثمان بن عفان. أبن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص١٣٦٥.

([٨٠]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص١٨٣؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٢٦؛ المالكي، رياض النفوس، ج١، ص١٠.

([٨١]) المالكي، رياض النفوس، ج١، ص١١٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٩٠.

(٨٢) سبيطلة: مدينة من مدن إفريقية وهي كما يزعمون مدينة جرجير الملك الرومي، وبينها وبين القيروان سبعون ميلا. ياقوت الحوي، معجم البلدان، ص١٨٧.

(٨٣) يُعد جريجوريوس النازيانزي (Gregorius Nazianzenus)،المعروف أيضًا بـ "القديس غريغوريوس اللاهوتي"، واحدا من أبرز الآباء الكبادوكيين في الفكر المسيحي، وُلِد في القرن الرابع الميلادي حوالي (٣٢٩م) وتوفي سنة (٣٩٠م)، وُصف بأنه أحد أهم المفكرين اللاهوتيين في الكنيسة الشرقية، حيث عُرف بخطبه العميقة التي دافع فيها عن عقيدة التثليث ضد بدعة الآريوسية. تولّى منصب أسقف القسطنطينية لفترة قصيرة، وأسهم في تثبيت العقيدة الأرثوذكسية خلال مجمع القسطنطينية الثاني، وقد أثّرت كتاباته في الفكر المسيحي الشرقي واللاتيني على حدّ سواء. شيخو، دائرة المعارف المسيحية الشرقية، ج٢، ص١٣٥.

(٨٤) السامرائي، تاريخ المغرب العربي،ص٥٦.

(٨٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٣، ص٤٤.

(٨٦) البكري، المسالك والممالك، ص١٤٥.

(٨٧) النويري، نهاية الارب، ج٢، ص٤.

(٨٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٩.

(٨٩) سبيطلة : هناك وقعت فيها معركة وهي احدى المدن التي كانت لواحد من ملوك الروم ويسمى "جرجير ملك روم الافارق" وهي مدينة جميلة المنظر وكثيرة المياه فيها تحتوي على البساتين وتقع في مدينة القيروان أي تقع على بعد (١١٢) كم جنوب غرب القيروان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٢٠.

(٩٠) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٩.

(٩١) محمد، المغرب الكبير، ص١٥٧.

(٩٢) قمونيه منطقة عامرة قريبة من الموضع الذي أُسست فيه مدينة القيروان لاحقاً وقد دخلها المسلمون بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح خلال حملته على إفريقية سنة (٢٧هـ)، ومنها انطلقت المعارك ضد الروم بقيادة جرجير، حاكم سبيطلة، وكان لها دور في التمهيد لتأسيس قاعدة عسكرية دائمة للمسلمين، هي مدينة القيروان، التي أسسها فيما بعد القائد عقبة بن نافع سنة (٥٠هـ) في نفس الإقليم. البكري، المسالك والممالك، ص١٧٤.

(٩٣) أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٨٤؛ محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص٣٩.

(٩٤) المالكي، رياض النفوس، ص١١.

(٩٥) المالكي، رياض النفوس، ص١١.

(٩٦) موقعة سبيطلة هي معركة تاريخية وقعت في منطقة سبيطلة الواقعة في شمال إفريقيا خلال مرحلة الفتح الإسلامي للمغرب العربي في القرن الأول الهجري، وتحديدا في عهد القائد العسكري الإسلامي عقبة بن نافع. مثلت هذه المعركة نقطة حاسمة في تثبيت الوجود الإسلامي في بلاد المغرب، إذ تمكن المسلمون من خلالها الانتصار على قوات المقاومة المحلية التي ضمت قبائل البربر وبقايا الوندال، مما مهد لسيطرة المسلمين على سبيطلة، التي كانت مركزاً حضرياً واستراتيجياً هاماً. وتعد هذه المعركة جزءاً من سلسلة الحملات التي قادها عقبة بن نافع لتوسيع النفوذ الإسلامي في شمال إفريقيا، وأسهمت في تسهيل الفتح الإسلامي لباقي مناطق المغرب العربي. الواقدي، المغاز، ج٣، ص٢٠٠-٢٢٠؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص١٥٠-١٦٥.

(٩٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٠.

(٩٨) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٢.

(٩٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٠.

(١٠٠) تقع على الساحل الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة الإيبيرية، أسسها الرومان في عهد الجمهورية الرومانية بعد استيلائهم على المنطقة من القرطاجيين خلال الحروب البونيقية. أصبحت قرطاجنة الرومانية مركزاً استراتيجياً هاماً على البحر المتوسط بفضل موقعها الطبيعي الجيد كميناء ومحطة بحرية، فضلاً عن كونها مركزاً اقتصادياً وتجارياً مزدهراً. لعبت المدينة دوراً حيوياً في توطيد السيطرة الرومانية على شبه الجزيرة الإيبيرية وشمال إفريقيا ، واحتفظت بأهميتها عبر العصور الرومانية، حيث شهدت تطورات عمرانية وثقافية بارزة، منها بناء المسرح الروماني والمنتديات. بيرني، التاريخ الروماني القديم، ج٢، ص٢٢٠-٢٤٠.

(١٠١) مدينة فصة المعروفة قديما بـ "توسا" أو "توسة" تقع في الجنوب الغربي من تونس الحالية، وتُعد من أقدم المراكز الحضرية في منطقة شمال أفريقيا. ذُكرت قفصة في المصادر التاريخية القديمة كجزء من المناطق التي استولى عليها الرومان بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي. وكانت مدينة توسّة مركزا زراعيا وتجاريا مهما خلال العهد الروماني. البلاذري، فتوح البلدان، ص٧٥-٨٠.

(١٠٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٤.

(١٠٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٦٨؛ ياقوت الحموري، معجم البلدان، ج١، ص٣٠١.

(١٠٤) سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص٨٦-٨٧؛ طه، الفتح والاستقرار، ص١١٥.

(١٠٥) فتح العرب، ص١١٢.

(١٠٦) سالم، تاريخ المغرب الكبير، ج٢، ص١٥٢.

(١٠٧) مؤنس، فتح العرب، ص١١٢.

(١٠٨) الدباغ، معالم الأيمان، ج١، ص٤٢.

(١٠٩) مؤنس، فتح العرب، ص٥٨.

(١١٠) أبن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص١٢.

(١١١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٨٨.

(١١٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج٣، ص٥٣؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج١، ص٨٠.

(١١٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٣٢١؛ الكندي، كتاب الولاة، ص١٣.

(١١٤) مؤنس، فتحر العرب للمغرب، ص١١٠.

(١١٥) معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، يكنى أبا عبد الرحمن، وهو أخو رملة بنت أبي سفيان. أسلم يوم الفتح، ثم تولّى الشام في خلافة عمر بن الخطاب، وأُقِرّ عليها في عهد عثمان بن عفان، ثم بويع له بالخلافة سنة (٤١هـ)، وكان من دهاة العرب، توفي سنة (٦٠هـ) عن عمر ناهز ثمانين سنة، بعد أن أسّس ملكاً قويّاً، وعُدّ من ملوك العرب الحُكماء. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٤٠٤.

(١١٦) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي (ت٨٦هـ)، يكنى أبا الوليد، تولّى الخلافة سنة (٦٥هـ) بعد وفاة أبيه، فكان من أقوى خلفاء بني أمية وأشدهم حزمًا. جمع بين الفقه والسياسة، فقضى على الفتن، ووحّد الدولة، وعُرف بدهائه في الإدارة، فسكّ النقود، وعرب الدواوين، ووطد سلطة الدولة المركزية، كان له دور بارز في صناعة القرار العسكري من خلال تعيين ولاة أقوياء كالحجاج بن يوسف وموسى بن نصير. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٢٣٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨٠.

(١١٧) الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، يكنى أبا العباس، وُلد سنة (٥٠هـ)، وتولّى الخلافة بعد وفاة أبيه عبد الملك سنة (٨٦هـ). كان الوليد، شديد العناية بالفتوح، فدوّن الدواوين، وثبّت الثغور، ووجّه الجيوش إلى المغرب والأندلس والسند، وكان عصره من أعظم عصور الإسلام اتساعاً، توفي الوليد سنة (٩٦هـ)، ودفن بدمشق، وكان له دور مهم في صناعة القرار العسكري من خلال توجيه قادة الفتح، كموسى بن نصير وطارق بن زياد، في سياسة توسعية مدروسة تميز بها عهده عن سابقيه. أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص١٤.

(١١٨) فتوح مصر وأفريقيا، ص٩٨.

(١١٩) سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٥٦.

(١٢٠) المقدمة، ص٢٤٥.

(١٢١) ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص٣٢٠.

(١٢٢) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١١٠.

(١٢٣) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١١٢.

(١٢٤) الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٥.

(١٢٥) معاوية بن حُديج بن جُفنة الكِندي، يُكنى أبا نعيم، من قبيلة كندة اليمنية، وُلد في أوائل القرن الأول الهجري، وكان من كبار القادة الأمويين ومن أبرز أنصار معاوية بن أبي سفيان، شارك في معركة صفين ضد الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، واشتهر بعدائه الشديد له، وتولّى إمرة مصر بعد قمع فتنة محمد بن أبي حذيفة، كما شارك في الفتوحات البحرية ضد الروم،

وكان له دور بارز في تثبيت نفوذ الدولة الأموية في مصر والمغرب، وتوفي سنة (٥٢هـ). أبن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص١٣٨٥؛ أبن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص١٨٥؛ أبن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٨٠.

(١٢٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٥.

(١٢٧) أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٠.

(١٢٨) تقع على الساحل الشرقي لما يُعرف اليوم بالجمهورية التونسية، وتُعد من أقدم المدن في منطقة إفريقية، أسسها الفينيقيون باسم "هَدْرُمِتوم"، ثم ازدهرت في العهدين الروماني والبيزنطي، قبل أن تدخل تحت الحكم الإسلامي خلال القرن الأول الهجري. كانت ذات أهمية عسكرية وتجارية، وبنى بها المسلمون الرباط الشهير الذي صار من معالم الجهاد البحري ضد الروم، كما كانت قاعدة بحرية مهمة في العهد الأغلبي. البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣٢.

(١٢٩) حصن جلولاء: أحد الحصون الساسانية المهمة شرق دجلة، يقع في مدينة جلولاء التابعة لمحافظة ديالى في العراق اليوم، اتخذته الدولة الساسانية مركزًا دفاعيًا استراتيجيًا بعد سقوط المدائن، وكان مسرحًا لمعركة جلولاء سنة (١٧هـ)، حيث واجه المسلمون بقيادة هاشم بن عتبة جيوش الفرس بقيادة مهران، أدّى سقوط الحصن إلى انهيار ما تبقى من المقاومة الفارسية في تلك الجهة، ومهّد الطريق نحو فتح نهاوند وخراسان، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٥٤٤؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٩٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٨٧.

(١٣٠) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١٢٣.

(١٣١) نْزَرْت: مدينة ساحلية تقع في أقصى شمال الجمهورية التونسية، عُرفت في العصور القديمة باسم "هيبو ديارتوس"، وكانت ميناءً مهماً في العهدين الفينيقي والروماني، ثم دخلت تحت الحكم الإسلامي في النصف الأول من القرن الأول الهجري، خلال الفتوحات الإسلامية في المغرب برزت كقاعدة بحرية ذات موقع استراتيجي على البحر المتوسط، البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣٤؛ اليعقوبي، البلدان، ص١٢٨.

(١٣٢) رويفع بن عامر بن عبد الله الأنصاري، من بني سعد الأنصار في يثرب، وُلد في أواخر القرن السادس الميلادي تقريبًا، وشارك مع النبي محمد (ﷺ) في غزوات بدر وأحد، وبرز كبطل وشجاع في المعارك. بعد وفاة النبي، كان من القادة العسكريين البارزين في الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام والعراق، وساهم في تثبيت حكم المسلمين في المناطق المفتوحة، وشغل دوراً سياسياً مهما ضمن قيادة الأنصار في تلك الفتوحات، توفي في أواخر القرن الأول الهجري، في عهد الخليفة عمر أو بعده بقليل. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٥٥؛ ابن حجر،الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص١٣٤.

(١٣٣) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١٢٦.

(١٣٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٤١٠؛ مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١٢٨.

(١٣٥) ابن الاثير، اسد الغابة، ج٣، ص٤٢٠.

(١٣٦) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص٣٣.

(١٣٧) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١٣٥.

(١٣٨) غدامس واحة تقع في جنوب غرب ليبيا، ضمن المناطق الصحراوية التي تفصل بين حوض البحر المتوسط والصحراء الكبرى. ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٧٥–١٨٠.

(١٣٩) قسطيلية أو قشتالة هي منطقة تاريخية تقع في وسط وشمال إسبانيا، وشكلت لاحقا نواة لمملكة قشتالة التي لعبت دورًا مركزيا في توحيد إسبانيا خلال العصور الوسطى. عرفت قسطيلية بثقلها السياسي والعسكري والاقتصادي، حيث كانت مركزاً رئيسياً للحكم المسيحي في شبه الجزيرة الإيبيرية، كما كانت مهد الحركات العسكرية التي أنهت الحكم الإسلامي في الأندلس، اشتُهر عن قشتالة نظامها الإقطاعي وهيمنتها الثقافية التي أثرت على التاريخ الأوروبي. كوريا، تاريخ إسبانيا، ج١، ص١٢٠–١٣٥.

(١٤٠) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١٣٩.

(١٤١) سلمة بن مخلد بن صامت بن نُذير بن حرام بن لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن عدي بن غَنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، المكنّى أبا معن وقيل أبا سعيد، أحد كبار الصحابة والولاة في صدر الإسلام، وهو من بني عبد الأشهل من الأوس، أدرك النبي وأسلم صغيرا، وشهد بعض المشاهد معه، تولّى إمارة مصر في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٧هـ، فاستمرت ولايته نحو خمسة عشر عاما، وهي أطول مدة ولاية في العصر الأموي بمصر، عُرف بالحزم في الإدارة، وتنظيم شؤون الجند، وتحسين تحصينات الثغور البحرية، كما أرسل السرايا ضد البيزنطيين، ظل واليا على مصر حتى وفاته سنة ٦٢هـ/٦٨٢م حيث دُفن بها، تاركا أثرا بارزا في الإدارة

والعسكرية. وقد وصفه بـ"أمير مصر وصاحب رسول الله ﷺ". ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٤٨٨؛الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٠٢.

(١٤٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٨.

(١٤٣) أبي المهاجر دينار أسمه عبد الله دينار، كان قائداً عسكرياً مسلماً بارزاً في عهد الدولة الأموية، وشارك في فتح المغرب الإسلامي تحت قيادة عقبة بن نافع الفهري، تميّز بدوره في قيادة الحملات العسكرية التي أسهمت في تثبيت النفوذ الإسلامي في شمال إفريقيا، خاصة في مناطق برقة وتونس، وكان له دور فعّال في بناء البنية العسكرية والسياسية التي دعمت استقرار الدولة الإسلامية في تلك المناطق، توفي في شمال إفريقيا أثناء أو بعد الحملات. الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٥١٢؛ ابن عبد الحكم، فتوح المغرب، ص١٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٢٣.

(١٤٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٥١٢؛ ابن عبد الحكم، فتوح المغرب، ص١٨٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٢٥.

(١٤٥) المغرب الإسلامي، ص٤٤.

(١٤٦) أوربة: قبيلة بربرية (أمازيغية) كبرى من قبائل البتر، كانت تستوطن مناطق واسعة من شمال المغرب الأقصى، خاصة في جهة الريف والأطلس. تُعد من أبرز القبائل الأمازيغية التي تفاعلت مع الفتح الإسلامي للمغرب في القرن الأول الهجري، وكان لها تأثير سياسي كبير، إذ انحدر منها زعيمها المعروف كسيلة الذي قاوم المسلمين لفترة، ثم أسلم وتحالف مع القائد الإسلامي أبي المهاجر دينار. وقد شكّلت أوربة عنصرًا مهمًا في التوازنات السياسية والعسكرية في مرحلة تأسيس الوجود الإسلامي في المغرب. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص١٨٦؛ ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٦، ص٩٩.

(١٤٧) السامرائي، المغرب العربي، ص٧١.

(١٤٨) حنش بن عبد الله السبائي أبو رشدين الصنعاني من صنعاء دمشق، غزا المغرب وسكن إفريقية، نزلها مرابطاً، أول صاحب خراج (العُشور) في إفريقية؛ أقام ديوان الخراج سنة مائة. المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٧، ص٩٤.

(١٤٩) المغرب الإسلامي، ص٤٩.

(١٥٠) لقبال، المغرب الإسلامي، ص٤٩.

(١٥١) تكرو: هي مدينة تاريخية تقع في منطقة المغرب العربي، وتعود أصولها إلى العصور القديمة حيث كانت مركـزاً حضرياً ذا أهمية خلال الفترات الرومانية والبيزنطية، عرفتها المصادر القديمة كمدينة استراتيجية تقع على طرق التجارة التي تربط بين الساحل والمناطق الداخلية، مما جعلها نقطة التقاء للقوافل التجارية والثقافات المختلفة، كانت ذات موقع جغرافي مميز يجعلها محط أنظار الإمبراطوريات الرومانية والبيزنطية في شمال أفريقيا. ياقوت الحموي، ج٣، ص٢٣٠.

(١٥٢) زهير بن قيس بن عبد الله البلوي الكنية: أبو عبد الله قائد عسكري وسياسي من قبيلة بلواء العربية، عُرف بدوره البارز في الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا خلال القرن الأول الهجري. انضم إلى جيوش المسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وشارك في عدد من الحملات العسكرية لتوسيع الفتوحات الإسلامية في المغرب العربي. تميز زهير بدوره في إدارة المناطق المفتوحة وإرساء النظام السياسي الإسلامي فيها، حيث تم تعيينه والياً على بعض المناطق الاستراتيجية بعد الفتح. ويظهر اسمه في كتب التاريخ الإسلامي كشخصية مؤثرة في مراحل تأسيس الدولة الإسلامية في المغرب العربي. توفي في أواخر القرن الأول الهجري، وقد أشار إليه المؤرخون أنه توفي في منطقة المغرب بعد إتمام مهمته في إدارة المناطق التي تم فتحها. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢١٠–٢١٥: يذكر زهير بن قيس كأحد القادة المشاركين في حملات الفتح في المغرب. البلاذري، فتوح البلدان، ص١٨٠–١٨٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٩٥–١٠٥.

(١٥٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٨٥–٩٠؛ الدباغ، معالم الأيمان، ج١، ص٤٨.

(١٥٤) المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٢٢.

(١٥٥) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص٥١.

(١٥٦) الدباغ، معالم الأيمان، ج١، ص٤٧.

(١٥٧) وهي من مدائن نوميديا، وقد كانت معروفة في عهد الرومان باسم "باجا" أو "باغيا"، وتقع هذه المدينة في شمال إفريقية، بين جبال الأطلس وسهولها الخصبة، وهي من المراكز التي استحكم بها الرومان، وبنا فيها الآثار والبنايات العظيمة، من البلاد التي وقع فيها الفتح بعد

جد وجهد، وبقيت مأهولة بالناس تنعم بالأمن والخير، وتحافظ على عمارتها وعمرانها. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ج١، ص١٩٥-٢٠٠.

(١٥٨) القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، ص٤٢.

(١٥٩) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٢٥.

(١٦٠) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٤٤.

(١٦١) القيرواني تاريخ إفريقيا والمغرب، ص٤٣-٤٤.

(١٦٢) ابن عذارى المراكشي، ج١، ص٢٥.

(١٦٣) تلمسان مدينة عظيمة، عامرة بالناس، ومركزاً للعلم والحضارة، قد كانت حلقة وصل بين بلاد المغرب والصحراء وأرض المشرق، هي من الحصون المحصنة التي لا تهزم، وأرضها خصبة، وناسها شجعان، وليها أمراءٌ حكماءٌ حكموا بعد الإسلام بالعدل والتقى. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٢١٠-٢١٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص١٩٥-٢٠٠.

(١٦٤) القيرواني، تاريخ إفريقيا والمغرب، ص٤٤.

(١٦٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٧٢؛ المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٢٤.

(١٦٦) ماساتا والمعروفة أيضًا باسم ماسات هي منطقة تقع في إقليم سوس ماسة جنوب المغرب، وتُعد جزءا من المنطقة التي يمر بها وادي ماسة الكبير، أحد الأودية الرئيسية في جنوب المغرب.اليعقوبي، تاريخ البلدان، ج٢، ص٣٤.

(١٦٧) شاكر بن سموء هو أحد رفقاء القائد الإسلامي عقبة بن نافع الثقفي، وشارك معه في فتوحات المغرب العربي خلال القرن الأول الهجري. ورد ذكر شاكر في المصادر التاريخية ضمن صفوف القادة أو القادة المساعدين الذين رافقوا عقبة في حملاته العسكرية. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ج١، ص١٢٠-١٢٥.

(١٦٨) السامرائي، المغرب العربي، ص٧٦.

(١٦٩) قبائل حاحة من بطون الأمازيغ الساكنين بسواحل المغرب الأقصى، وهي من القبائل العتيقة التي تجاور البحر من جهة الغرب، وتحدها الجبال من جهة الداخل. وهم قوم شجعان، معروفون بكثرة العدد، وامتداد البلاد، واشتغالهم بالزرع والصيد، وكانوا أهل بادية وحصون. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٠٦؛ ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج ٦، ص١٠٦.

(١٧٠) رَجْرَاجَة قبيلة مشهورة من قبائل المصامدة، ذات شهرة عظيمة في بلاد المغرب، وهي من القبائل البربرية التي تقيم بجبال السوس وسواحل تِيدسي والصويرة، ولها مآثر في الدين، وقد عُرف رجالها بالزهد والصلاح، وكان فيهم الأولياء والصلحاء. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص ١١٧.

(١٧١) مصمودة قبيلةٌ عظيمةٌ من قبائل البربر، ذات بأس وقوة وعدد، تنتشر في جبال الأطلس وما حولها من بلاد السوس وناحية مراكش، وهي من أكبر شعوب البربر بعد صنهاجة وزناتة، وقد كانت تنقسم إلى بطون كثيرة، منها: هرغة، هسكورة، إنداوزال، جزولة، رُغو، وكزولة. ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٦، ص١٠٦-١١٢.

(١٧٢) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ج١، ص٢٢.

(١٧٣) أبن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٧، ص١١٧.

(١٧٤) زناتة قبيلةٌ عظيمةٌ من البربر، من ولد برنس بن برّ بن قيس عيلان، وهم ذو عدد ونجدة وبأس، وكانوا أهل خيل ورماح، كثيري الترحال والغزو، ينتشرون من تخوم المغرب الأوسط إلى السوس، ومن البحر إلى الصحراء، ولهم بطون وأفخاذ لا تُحصى. البلاذري، فتوح البلدان، ص١٣٠-١٣٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣١٨.

(١٧٥) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٢٩.

(١٧٦) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٢٦٧؛ السامرائي، المغرب العربي، ص٧٧.

(١٧٧) كسيلة بن لمزم، وهو زعيم من زعماء البربر، من قبيلة أوربة، من بطون زناتة أو من البرانس على خلاف بين النسابين. كان ملكاً في قومه، عظيمَ المنزلة، عاليَ الشأن، قويّ النفوذ، قد دان له جبال المغرب الأوسط وسهوله. وكان شجاعاً، ذا رأي ودهاء، أقبل على الإسلام حين رآه غالباً، ثم رجع إلى قومه وكاد للعرب، فكانت له وقائع مشهودة، ثم قتل في المعركة ضد جيش زهير بن قيس البلوي. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص١٢٢-١٢٥.

(١٧٨) تهودة: موضع في شمال إفريقيا، تقع بالقرب من القيروان، ورد ذكرها في سياق حملات الفتح الإسلامي في عهد عقبة بن نافع، وكانت من المحطات المهمة في سير الجيوش الإسلامية أثناء توسعهم في المغرب الأوسط. تمثل تهودة إحدى القواعد العسكرية التي ساعدت على تأمين خطوط الإمداد وربط المناطق المفتوحة ببعضها. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص١٨٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٥١٤.

(١٧٩) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٢٩.

(١٨٠) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح٤، ص١٠٦.

(١٨١) ابن عذارى، البيان المغرب، ص٢٧٠.

(١٨٢) الدباغ، معالم الأيمان، ج١، ص٥٣.

(١٨٣) الدباغ، معالم الايمان، ج١، ص٥٥.

(١٨٤) باشا، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج١٠، ص٩٥٩.

(١٨٥) ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج١، ص٣١٠-٣١٢.

(١٨٦) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٣١.

(١٨٧) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٤-٢٣٧.

(١٨٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٣١.

(١٨٩) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٣٣.

(١٩٠) درنة مدينة ساحلية تقع في شمال شرق ليبيا على البحر الأبيض المتوسط ، إذ تعود أصولها إلى العهد الروماني، الإدريسي، نزهة المشتاق،ج١، ص. ١١٢؛ ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٢، ص ٢٢٤.

(١٩١) المالكي، رياض النفوس، ج١، ص٤٠.

(١٩٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣١.

(١٩٣) حسان بن النعمان بن المنذر الأسدي، قائد وعسكري مسلم بارز من قبيلة الأسدية، ولد في القرن الأول الهجري. تولى قيادة الجيش الإسلامي في إفريقية بعد عقبة بن نافع، حيث شارك في عدة حملات عسكرية ناجحة ضد الروم والبربر، وساهم في ترسيخ الوجود الإسلامي في شمال إفريقيا، خاصة في المغرب العربي. عُرف بحنكته وشجاعته في المعارك، وكان له دور أساسي في تثبيت الفتح الإسلامي في المغرب، توفي في أوائل القرن الثاني الهجري بعد مسيرة حافلة بالانتصارات، ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٢٥٠-٢٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢١٠-٢١٥.

(١٩٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٣٣.

(١٩٥) السعيد، صناع القرار السياسي في الدولة الإسلامية الأولى، ص٤١.

(١٩٦) فتحي، صناعة القرار وتحليل وحل المشكلات، ص٢٩٤.

(١٩٧) ابن الاثير، اسد الغابة، ج٣، ص١١٣.

(١٩٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٣.

(١٩٩) ابن عذاري، البيان، ج١، ص٣١.

(٢٠٠) ابن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٦ ص١٠٩.

(٢٠١) ابن خلدون، تاريخ، أبن خلدون، ج٦، ص١٠٩.

(٢٠٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٣٢.

(٢٠٣) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص٣١.

(٢٠٤) لقبال، المغرب الإسلام، ص٧٧.

(٢٠٥) موضع يقع في بلاد المغرب الأوسط، ارتبط اسمه بالمعركة التي جرت بين القائد الأموي حسان بن النعمان الغساني وقائدة البربر الكاهنة الداهية بنت ماتية في أواخر القرن الأول الهجري، وذكر أن هذه الوادي كان مسرحا لمواجهة حاسمة بين الجيشين، انتهت بانتصار الكاهنة وردّ المسلمين عن مواصلة الفتح لفترة من الزمن، وعرف أيضا باسم وادي مسكّانة، وهو يقع في نواحي الأوراس بالجزائر حاليا، وقد

مثّل موقعا استراتيجيا مهما نظرا لكونه ممرا جبليًا يربط السهول بالمناطق الجبلية، مما جعله ملائما للكمائن والمعارك الدفاعية.اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٢٢، دار صادر، بيروت.

([٢٠٦]) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٣٦.

([٢٠٧]) القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص٥٧.

([٢٠٨]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٧٠-٢٧١.

([٢٠٩]) مدينة فصة المعروفة قديما بـ "توسا" أو "توسة" تقع في الجنوب الغربي من تونس الحالية، وتُعد من أقدم المراكز الحضرية في منطقة شمال أفريقيا. ذُكرت قفصة في المصادر التاريخية القديمة كجزء من المناطق التي استولى عليها الرومان بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي. وكانت مدينة توسّة مركزا زراعيا وتجاريا مهما خلال العهد الروماني. البلاذري، فتوح البلدان، ص٧٥-٨٠.

([٢١٠]) قُسَيْطَلَة (أو قُسَيْطِلَة) هي إحدى مدن االمغرب الإسلامي، تأسست في عام ٥٠ هـ (٦٧٠م) على يد عقبة بن نافع. تُعتبر المدينة من أقدم المراكز الحضرية في المنطقة، وقد أسهمت في نشر الإسلام والثقافة العربية بين القبائل الأمازيغية. خلال العصور الوسطى، كانت قُسَيْطَلَة مركزا تجاريا وثقافيا هاما، حيث كانت تربط بين المشرق والمغرب. كما كانت مركزا علميا.اليعقوبي، البلدان،ج١،ص١٨٧.

([٢١١]) القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص٦١.

([٢١٢]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٢٦-٢٦٥؛ تاريخ أبن خلدون، ج١، ص٤٠٠-٤٠٥.

([٢١٣]) عبد الملك الخشني هو قائد عسكري مسلم بارز في فترة ولاية موسى بن نصير على إفريقية خلال أوائل القرن الثامن الميلادي تولى قيادة حملة عسكرية مؤلفة من خمسمائة فارس قُدمت للقضاء على التمرد في قلعة زغوان بتونس، ضمن جهود موسى بن نصير لتعزيز سلطة الدولة الإسلامية وتثبيت حكمها في شمال إفريقيا، لعب عبد الملك دورا مهما في إعادة فرض النظام على القبائل التي ارتدت عن طاعة الخلافة، وكان أحد القادة الميدانيين الذين نفذوا الاستراتيجيات العسكرية المعقدة التي تميزت بها هذه المرحلة من الفتح الإسلامي في المغرب. بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٢٦٠-٢٦٢.

([٢١٤]) موضع في شمال إفريقية، تقع جنوب العاصمة تونس، وهي منطقة جبلية ذات موقع استراتيجي، وقد ورد ذكرها في سياق الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا، لا سيما في عهد موسى بن نصير، إذ كانت إحدى معاقل التمرد التي خرجت عن طاعة الدولة الأموية، وقد أرسل موسى بن نصير القائد عبد الملك الخشني على رأس خمسمائة فارس لإخماد ذلك التمرد، فتمكن من السيطرة عليها، وقتل من فيها، وأعادها إلى سلطان المسلمين. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص١٢٢.

([٢١٥]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٢٦-٢٦٥؛ تاريخ أبن خلدون، ج١، ص٤٠٠-٤٠٥.

([٢١٦]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٢٦-٢٦٥؛ تاريخ أبن خلدون، ج١، ص٤٠٠-٤٠٥.